

أصول القراءة الشرعية والفنية
للشيخ الكريم

- مصدر الفهرسة : IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC : BP131.6 .A7 2020
المؤلف الشخصي : الأعرجي، بدري عباس - مؤلف.
العنوان : أصول القراءة الشرعية والفنية للقرآن الكريم /
بيان المسؤولية : تأليف السيد بدري عباس الأعرجي.
بيانات الطبع : الطبعة الأولى.
بيانات النشر : كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، دار
القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات القرآنية،
٢٠٢٠ / ١٤٤١ للهجرة.
الوصف المادي : ١٢٨ صفحة : صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر : (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٥٤).
سلسلة النشر : (دار القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات
القرآنية ؛ ٣٦).
تبصرة ببليوجرافية : يتضمن هوامش، لائحة المصادر
(الصفحات ١٢٣-١٢٥).
مصطلح موضوعي : القرآن - تجويد.
مصطلح موضوعي : القرآن - قراءات.
مصطلح موضوعي : القرآن - الأصوات.
اسم هيئة اضافي : العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، دار
القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات القرآنية.
جهة مصدرية.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية

تصميم واخراج : محمد عامر محمد

أصول القراءة الشرعية والفنية
للشيخ الكريم

تأليف

السيد بدري عباس الأعرجي

الأهوال

الى المقام السامي لخاتم الرسل ووصيه وبضعته وسبطيه والتسعة من ذريتهم
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وإلى القراء الذين قال في حقهم أمير المؤمنين عليه السلام: ... وَرَجُلٌ ^(١) قَرَأَ الْقُرْآنَ
فَوَضَعَ دَوَاءَ الْقُرْآنِ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ وَاسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ وَأَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ
وَتَجَافَى بِهِ عَن فِرَاشِهِ فَبَأُولَئِكَ يَدْفَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْبَلَاءَ وَبِأُولَئِكَ يُدِيلُ اللَّهُ مِنَ
الْأَعْدَاءِ وَبِأُولَئِكَ يُنَزِّلُ اللَّهُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ لَهُؤُلَاءِ فِي قُرْآنِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ
مِنَ الْكِبْرِيَّتِ الْأَحْمَرِ.

والى روعي من ينظر الله لرضاها فيجازيني وزوجتي وأولادي.
أهدي هذا الجهد المتواضع.

(١) المقصود كل من قرأ القرآن رجل أو امرأة كبير أو صغير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
محمد ﷺ وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

إن القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأساس للبشرية جمعاء والأمة
الإسلامية بصورة خاصة وهذا الكتاب العظيم هو خاتم الكتب السماوية، كما
أن النازل عليه هو خاتم الأنبياء ﷺ وقد ضم بين دفتيه كل ما احتوته تلك الكتب
من مختلف المعارف المتعلقة بمنهج الحياة للأمم والشعوب والذي يضمن
لها سعادة الدارين، وأضاف إليها ما يضمن كمال ذلك المنهج إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها.

وبما أن هذا الكتاب جاء بلغة أمة خاتم الأنبياء ﷺ وهي اللغة العربية ذات
الدلالة الواسعة، وتلاوته من مقدمات تدبره والتفكير فيه، ومن ثم العمل على
تطبيق مراده في الحياة اليومية للفرد والمجتمع، فهناك أسئلة كثيرة تطرح حول
موضوع القراءة من قبل مختلف شرائح المجتمع ألا وهي كيف يقرأ القرآن؟

وأى الطرق أفضل لقراءة؟ وما هو الدليل عليها؟ وما هي حدود أحكام التلاوة المطلوبة شرعاً؟ وهل كانت تلك الأحكام في زمن النبي ﷺ والأئمة ؑ؟ وهل قرؤوا بها أو علقوا عليها؟ وفي أية مدة زمنية ظهرت هذه الأحكام بعد نزول القرآن أم مع نزوله؟ وهل هناك فارق بين القراءة الفنية والشرعية من حيث أحكام التلاوة؟ وما هي حدود القراءة المقبولة شرعاً؟ وما هي الضابطة للقراءة الشرعية؟ وما هي آراء علماء المسلمين فيها؟

كذلك المقامات القرآنية المعروفة هذه الأيام وما مدى مشروعيتها في الشريعة الإسلامية؟ وهل كانت في زمن النبي ﷺ والأئمة ؑ؟ وماذا تقول المصادر الإسلامية المختلفة عن ذلك؟ وما هي القراءات القرآنية وما مدى جواز القراءة بها في الصلاة؟ وأي القراءات أفضل في الصلاة باعتبارها هي المعيار عند الفقهاء؟ وما المقصود بقراءة أهل البيت ؑ القرآنية؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة معززة بالمصادر .

لذلك ارتأينا أن نعدّ بحثاً ملخصاً حول هذه الموضوعات بعد أن طُلب منّا ذلك، وهذا الطلب جاء من قبل الأخوة المؤمنين في بلاد المهجر وخصوصاً في استراليا، لكي يكون الناس على بينة من تلك الموارد التي ذكرت آنفاً وحسب ما جاء في المصادر الإسلامية المعتبرة والمعتمدة عند جميع المسلمين وتعد أدلة لا غبار عليها، والغرض من ذلك بيان الحقائق المسندة بالمصادر الصحيحة وتوضيحها لمن يريد الاطلاع عليها ولانريد ان نبخس الناس أشياءهم، فمن أراد الاطلاع فقد أوضحنا له الحقائق المسندة بالمصادر المختلفة والحكم متروك للقارئ الكريم.

سوف نبدأ البحث في مقدمة مقتضبة، ثم في الفصل الأول نذكر الآيات القرآنية الدالة على تسهيل تعلم وتعليم القرآن الكريم مع بيان تفسيرها عند مشهور المفسرين، وبعدها سنذكر معنى حق التلاوة كما ورد عند الفريقين، كما سنبيّن آراء مشهور الفقهاء حول المقدار المطلوب من أحكام التلاوة في قراءة الصلاة عندهم والمثبتة في رسائلهم العملية، وبعد ذلك سنبيّن مستويات القراءة الفنية عند أهل الاختصاص في هذا الفن، والمستوى المطلوب منها شرعاً، وكذلك سنوضح الفرق بين القراءة الفنية والقراءة الشرعية للقرآن الكريم .

وبعدها سنتحدث عن المقامات القرآنية والتي تسمى أحياناً بالنغم القرآني في مدرسة الصحابة والتابعين، ورأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيها وحدود مشروعيّتها في الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وستتطرق الى الرد على شبهة التغني بالقران الواردة في بعض المصادر الاسلامية.

ثم نسلط الضوء على موضوع القراءات القرآنية وقراءة أهل البيت عليهم السلام خاصة وتوجيه الروايات الواردة عنهم في هذا المجال والتي ترد على شبهة التحريف والاختلاف في بعض موارد آيات الكتاب العزيز.

وأخيراً فهرست البحث وإدراج المصادر المعتمدة.

الشكر والعرفان: ولايسعنا إلا ان نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى جميع الاخوة الأساتذة الأفاضل لما قدموه من جهود في مراجعة البحث وإبداء الآراء السديدة وتصويب الأخطاء الحاصلة وخصوصاً سماحة السيد الدكتور مرتضى جمال الدين والسيد الدكتور ضرغام كريم الموسوي وسماحة الشيخ

فاضل الصفار والحاج الأستاذ مشتاق المظفر والاستاذ زيد الريحاني والاخ
المخرج الفني الأستاذ محمد عامر محمد وأن يجعل هذا العمل في ميزان أعمالهم
إنه سميع مجيب.

وختاماً نسأل الله العلي القدير أن يوفق الجميع لخدمة الدين الحنيف والقرآن
المجيد ولنشر علوم أهل البيت عليهم السلام إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته الطيبين الطاهرين.

السيد بدري عباس الأعرجي

في ٢٧ رجب ١٤٣٩ هجرية

الفصل الأول

أحكام القراءة

المطلب الأول: الآيات القرآنية الدالة على تسهيل قراءة وتعلم القرآن

الكريم وتفسيرها

المطلب الثاني: واجبات الناس تجاه القرآن الكريم

المطلب الثالث: الطرق المعتمدة في قراءة القرآن

المطلب الأول: الآيات القرآنية الدالة على تسهيل قراءة وتعلم القرآن

الكريم وتفسيرها.

١. قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان (٥٨)

(التيسير: هو التسهيل، والآية الكريمة تبين أن الله تبارك وتعالى تعهد بتسهيل قراءة القرآن وتدبره على النبي ﷺ وعلى الناس رغم كونه عميقاً وفي أبعاده مترامي الأطراف، لكنه بسيط وواضح يفهمه الجميع وتقتبس من أنواره كل الطبقات، لكي يتذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد ويتفكروا فيه ويتخذوه منها جاً في حياتهم اليومية)^(١).

٢. وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم (٩٧).

التيسير: هو التسهيل والآية الكريمة تبين أن الله تعالى يسهل تلاوة القرآن وتفهم معانيه على كل من يريد ذلك، وكذلك أخبر سبحانه عن مثل هذه الحالة لكتابه في قوله: ﴿وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف (٢-٣) ومن هنا يتبين أن معنى تيسيره بلسانه (للنبي ﷺ وللقاريء) تنزيهه على اللسان العربي الواضح الذي كان هو لسانه ﷺ فتنبى الآية أنه تعالى يسره بلسانه ليتيسر له التبشير والانذار وتيسر معارفه على الناس^(٢).

٣. وفي قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء (١٩٣-١٩٥).

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٩ ص ١٠٦، التفسير الأمثل ج ١٦ ص ١٧٤.

(٢) تفسير الميزان: ج ١٤، ص ١١٦.

(إن الهدف من نزول القرآن هو التربية وبناء شخصية الإنسان وإخراجه من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الهداية والإيمان والنجاة والفوز بسعادة الدارين وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم (١)، ولكي لا تبقى حجة لأحد ولا عذر أمام الله، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الأنعام (١٤٩) فإن القرآن أنزل بلسان عربي مبين وواضح وخالٍ من الإبهام والغموض، للإنذار والإيقاظ. وهذا واضح أيضاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة (١٩) (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ قَالَ: (يُبَيِّنُ الْأَلْسُنَ وَ لَا تُبَيِّنُهُ الْأَلْسُنُ) (٢) (٣).

ويقول الراغب في المفردات: العربي: (الفصيح البين والواضح من الكلام) (٤). وعلى هذا الأساس فإن قراءة القرآن وإدراك مفاهيمه واضحة وسهلة لمن يريد تعلمها والعمل بها.

وكذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ الأنعام (١٤٩).

فَقَالَ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَ كُنْتَ عَالِمًا فَإِنْ قَالَ نَعَمْ قَالَ لَهُ أَ فَلَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَ؟ وَإِنْ قَالَ كُنْتُ جَاهِلًا قَالَ لَهُ أَ فَلَا تَعَلَّمْتَ؟ فَيَخْصِمُهُ فِتْلِكَ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ) (٥).

(١) التفسير الكاشف، ج ٦، ص ١٦٦.

(٢) الكافي، ج ٢، ص: ٦٣٣.

(٣) الطبري جامع البيان ج ٢٩ ص ١٢٦.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٥٥٧.

(٥) الأمالي (للمفيد): ص ٢٩٢.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ القمر (١٧، ٢٢)، (٤٠، ٣٢).

ومعناه: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ) سهّلناه للتذكر والاتعاظ لمن يتعظ بأن صرّفنا فيه أنواع المواعظ والعبر فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ أي متعظ ومعتبر^(١). وكذلك سهّلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهراً، وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن.

وتيسير الشيء هو تسهيله بما ليس فيه مشقة على النفس، فمن سهل له طريق العلم، فهو جدير بأخذ الحظ الجزيل منه، لأن التسهيل أكبر داع إليه، وتسهيل القرآن للمعرفة والتعلم هو خفة ذلك على النفس، بحسن البيان، وظهور البرهان في الحكّم والسنن، والمعاني الصحيحة الموثوق بها، لمجيئها من قبل الله تعالى. وإنما صار الذكر من أجل ما يدعى إليه، ويحث عليه، لأنه طريق العلم، لأن الساهي عن الشيء، أو عن دليله، لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه، فإذا تذكر الدلائل عليه، والطرق المؤدية إليه، تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي متعظ ومعتبر به ناظر فيه^(٢).

وقد أنزل سبحانه القرآن للتذكير والاتعاظ، ويسر معانيه على الأفهام لينتفعوا به من خلال تطبيق أحكامه، لا ليقرؤوا كلماته ويعربوها ويفسروها فقط أو يفسروها وفق أهوائهم ليشتروا بها ثمناً قليلاً، فهل يعتبر ويتعظ بما جاء في القرآن

(١) تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٠٢.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣١٦.

الجاحدون^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة (١٩) وهذا يعني إن الله تعالى تعهد بجمعه وقراءته وتفصيل معانيه للنبي ﷺ ومن بعده للناس جميعاً ليكون سهلاً ومفهوماً عندهم ومن ثمّ يمكنهم العمل بمنهجه كل حسب وسعه وقدرته^(٢).

(١) التفسير الكاشف، ج٧، ص١٩٣.

(٢) التفسير الامثل، ج١٩، ص٢١٨، تفسير الصافي، ج٥، ص: ٢٥٧.

المطلب الثاني: واجبات الناس تجاه القرآن:

١. التوقير والتعظيم: قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف (٣ - ٤)، وقال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ عبس (١٣ - ١٤).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْقُرْآنُ أَفْضَلُ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَمَنْ وَقَرَ الْقُرْآنَ فَقَدْ وَقَرَ اللَّهَ وَمَنْ لَمْ يُوقِرِ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِحُرْمَةِ اللَّهِ وَحُرْمَةِ الْقُرْآنِ عَلَى اللَّهِ كَحُرْمَةِ الْوَالِدِ عَلَى وُؤْدِهِ^(١)(٢).

٢. التلاوة: قال تعالى: ﴿فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ المزمّل (٢٠) وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ﴾ النمل (٩١ - ٩٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرِجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ فاطر (٢٩) وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْحَافِظُ لِلْقُرْآنِ الْعَامِلُ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ^(٣)(٤).

٣. التذكر والتفكير والتعقل والتدبر: قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ النساء (٨٢)، وقوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ص (٢٩).

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت): ج ٨٩ ص ١٩.
 (٢) الترمذي في الصحيح ج ٤، ص ٢٥٠.
 (٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ج ٢، ص: ٦٠٣.
 (٤) البخاري ومسلم ج ٦ ص ٢٠٦، ج ٢ ص ١٩٥.

٤. الشكر: قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة (٨٩).

٥. التمسك وهو الأخذ بقوة: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الأعراف (١٧٠) وقال تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأعراف (١٧١)، وفي قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ البقرة (٦٣).

٦. التدارس والتدريس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ آل عمران (١٨٧)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ الأحزاب (٣٩).

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران (٧٩).

(وعن علي بن الحسين) عليه السلام: مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي عِلْمِهِمْ أَنْ لَا يَكْتُمُوا عِلْمًا عِلْمُوهُ^(١)(٢).

٧. الإتياع: قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام (١٥٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام (١٥٣).

(١) الأمالي (للصدوق) ص: ٦٣٢.

(٢) تقريب التهذيب ج ٢ ص ٣٩.

٨. فهم القرآن الكريم عن طريق أهل بيت الوحي والعصمة والطهارة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء (٥٩) وأولو الأمر في هذه الآية هم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: (ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَنَا فِي الْأَوْصِيَاءِ إِنَّ طَاعَتَهُمْ مُفْتَرَضَةٌ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ هُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَ هُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا) (١)(٢).

٩. السعي لتطبيق مفاهيم القرآن في الحياة اليومية: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المائدة (٦٦)، قوله تعالى: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة (١٠٥)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الجن (١٦)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف (٩٦)، وفي قوله جل وعلا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء (٩).

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ج ١، ص: ١٨٧.

(٢) وروى السيوطي في تفسيره الدر المنثور أخبارا كثيرة في نزول الآية في علي ﷺ.

المطلب الثالث: الطرق المعتمدة في قراءة القرآن:

لرب سائل يسأل كيف تقرأ القرآن؟

الجواب: يقرأ القرآن كما قال القرآن في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ الفرقان (٣٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل (٤) وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الترتيل: (أنه حفظ الوقوف وبيان الحروف)^(١).

وكذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين قال: (أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَطَلَبَتْهُمْ فَأَعْجَزُوهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلاً يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءً دَائِهِمْ)^{(٢)(٣)}.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَ لَمْ يَخْضَعْ لِلَّهِ وَ لَمْ يَرِقْ قَلْبُهُ وَ لَا يُنْشِئُ حَزْناً وَ وَجْلاً فِي سِرِّهِ فَقَدْ اسْتَهَانَ بِعَظَمِ شَأْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَ حَسِرَ حُسْرَاناً مُبِيناً فَقَارَى الْقُرْآنَ مُحْتَاًجٌ إِلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ قَلْبٍ خَاشِعٍ وَ بَدَنِ فَارِعٍ وَ مَوْضِعٍ خَالٍ فَإِذَا خَشَعَ لِلَّهِ قَلْبُهُ فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَإِذَا تَفَرَّغَ نَفْسُهُ مِنَ الْأَسْبَابِ تَجَرَّدَ قَلْبُهُ لِلْقِرَاءَةِ وَ لَا يَعْتَرِضُهُ عَارِضٌ فَيَحْرِمُهُ بَرَكَتَهُ نُورِ الْقُرْآنِ وَ فَوَائِدُهُ فَإِذَا اتَّخَذَ مَجْلِساً خَالِياً وَ اعْتَزَلَ عَنِ الْخَلْقِ بَعْدَ أَنْ آتَى بِالْخُصْلَتَيْنِ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَ فَرَاحِ الْبَدَنِ اسْتَأْنَسَ رُوحُهُ

(١) الكافي: (ط - الإسلامية)، ج ٢، ص: ٦١٥.

(٢) الأملاني: (للسدوق) ص: ٤١٩.

(٣) ومثله عن النبي صلى الله عليه وآله الهندي في كنز العمال ج ١ ص ٦٠٩.

وَسِرُّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَجَدَ حَلَاوَةَ مُحَاطَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ
 وَعَلِمَ لُطْفَهُ بِهِمْ وَمَقَامَ اخْتِصَاصِهِ لَهُمْ بِفُنُونِ كَرَامَاتِهِ وَبَدَائِعِ إِشَارَاتِهِ فَإِنْ شَرِبَ
 كَأْسًا مِنْ هَذَا الْمَشْرَبِ لَا يُخْتَارُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ حَالًا وَعَلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقْتًا بَلَّ
 يُؤَثِّرُهُ عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ لِأَنَّ فِيهِ الْمُنَاجَاةَ مَعَ الرَّبِّ بِلَا وَاسِطَةٍ فَاَنْظُرْ كَيْفَ تَقْرَأُ
 كِتَابَ رَبِّكَ وَ مَنْشُورَ وَلَايَتِكَ وَ كَيْفَ تُجِيبُ أَوْامِرَهُ وَ تُجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ وَ كَيْفَ تَتَمَثَّلُ
 حُدُودَهُ ﴿فَإِنَّهُ كِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ
 حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت (٤١ - ٤٢) فَرتَّلُهُ تَرْتِيلًا وَ قَفَّ عِنْدَ وَعْدِهِ وَ وَعِيدِهِ وَ تَفَكَّرَ
 فِي أَمْثَالِهِ وَ مَوَاعِظِهِ وَ أَحْذَرَ أَنْ تَقَعَ مِنْ إِقَامَتِكَ حُرُوفَهُ فِي إِضَاعَةِ حُدُودِهِ (٢)(١).

والترتيل في اللغة: هو التآني وتبيين الحروف، وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام
 في قوله تعالى «وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» قَالَ: بَيَّنَّهُ تَبْيِينًا وَلَا تَشْرَهُ نَشْرَ الرَّمْلِ وَلَا تَهْدُهُ هَدًّا
 الشَّعْرِ قَفُوًا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرَّكَوَاهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُونَنَّ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ (٣).
 والترتيل في القراءة: التَّرسُّلُ فيها والتبيين من غير بغي؛ قال أبو العباس: ما
 أعلم التَّرتِيلَ إِلَّا التَّحْقِيقَ وَالتَّبْيِينَ وَالتَّمَكِينَ، أَرَادَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ وَقَالَ مَجَاهِدٌ:
 التَّرتِيلُ: التَّرسُّلُ، قَالَ: وَرَتَّلْتَهُ تَرْتِيلًا بَعْضُهُ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ؛ قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ: ذَهَبَ
 بِهِ إِلَى قَوْلِهِمْ (نَغْرَرْتُ لُ) إِذَا كَانَ حَسَنَ التَّنْضِيدِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﴿وَرَتَّلِ
 الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾؛ قَالَ: بَيَّنَّهُ تَبْيِينًا^(٤)؛ وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَالتَّبْيِينُ^(٥) لَا يَتِمُّ بَأَنْ يَعْجَلَ

(١) مصباح الشريعة، ص: ٢٩، البيهقي في السنن الكبرى ج ٣ ص ١٣.

(٢) ومثله عن ابن المبارك في الزهد ص ٤٢٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص: ٣٠٢.

في القراءة، وإنما يتم التبيين بأن يُبين جميع الحروف ويؤفِّقها حقها من الإشباع. وفي صفة قراءة النبي ﷺ: (كان يُرْتَلُ آية آية) (١).

وعن أم سلمة: أنها نعتت قراءة النبي ﷺ (قراءة مفسرة حرفاً حرفاً) (٢).
وَتَرْتِيلُ القراءة: التَّانِي فِيهَا وَالتَّمَهُلُ وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المُرْتَلِ، وهو المُشَبَّه بزهور الأُفْحُونِ، يقال رَتَّلَ القراءة وَتَرْتَلَّ فيها.
وقوله عز وجل: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾، أي أنزلناه على التَّرتيل، وهو ضد العجلة والتمكث فيه؛ هذا قول الزجاج. وَتَرْتَلَّ في الكلام: تَرَسَّلَ، وهو يَتَرْتَلُّ في كلامه ويترسل.

وَالرَّتْلُ وَالرَّتِيلُ: الطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (٣). وَالتَّرْتِيلُ سُنَّةٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (٤).

معنى حق التلاوة:

هناك شبهة عند بعض الناس هي أن قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ تعني القراءة الصحيحة مع تطبيق أحكام التلاوة وتفصيلها بشكل دقيق وهذا من القول بالرأى ولا دليل عليه، وإنما معنى هذا المقطع القرآني في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكذلك في مدرسة الصحابة والتابعين هو غير ذلك وكما سنبينه لاحقاً.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص: ١٩٤.

(٢) سنن الترمذي: ج ٥ ص ١٨٢ ح ٢٩٢٣.

(٣) لسان العرب، ج ١١، ص: ٢٦٦.

(٤) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ج ٥، ص: ٤٠٢.

سؤال: ما هو معنى قوله تعالى ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ في المصادر المعروفة عند الفريقين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ البقرة (١٢١)؟.

الجواب: هو أن يعتبر القرآن كتاب عمل ومنهج للحياة، والقراءة ومتعلقاتها والتفكير في مفاهيم القرآن مقدمة للعمل به، ولذلك تصحو في نفوس القراء المتقين روح جديدة كلما قرؤوا القرآن ويتجدد فيهم الاستعداد للأعمال الصالحة، وهذه هي التلاوة الحقة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال: يَرْتَلُونَ آيَاتِهِ وَيَتَفَهَّمُونَ مَعَانِيَهُ وَيَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِهِ وَيَرْجُونَ وَعْدَهُ وَيُحْشُونَ عَذَابَهُ وَيَتَمَثَّلُونَ قِصَصَهُ وَيَعْتَبِرُونَ أَمْثَالَهُ وَيَأْتُونَ أَوَامِرَهُ وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ مَا هُوَ وَاللَّهِ بِحِفْظِ آيَاتِهِ وَسَرْدِ حُرُوفِهِ وَتِلَاوَةِ سُورِهِ وَدَرْسِ أَعْشَارِهِ وَأَخْسَاسِهِ حَفِظُوا حُرُوفَهُ وَأَضَاعُوا حُدُودَهُ وَإِنَّمَا هُوَ تَدَبُّرُ آيَاتِهِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (١) (٢).

وأما في مدرسة الصحابة والتابعين في معنى ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ فقد ورد عن مجاهد ابن جبير المكي عن ابن عباس قال: (يعملون به حَقَّ عَمَلِهِ) (٣).

والسؤال الآخر: هل أن القرآن أنزل للقراءة فقط وما هو الغرض من إنزاله؟

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص: ٣١٦.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد: ص ٢٧٤.

(٣) رواه ابي عبيد في فضائل القرآن: ص ٢٥٠، وابن المبارك في الزهد: ص ٢٧٣، والطبري في جامع

البيان، ج ١، ص ٥٢٠.

والجواب: إن الله تعالى بيّن في كتابه العزيز الغرض من إنزال القرآن لكي تسير البشرية على منهجه وتجعله دستوراً للحياة وليس لحفظ آياته وكلماته وتحسن تجويدها وتفسيرها فقط من دون النظر الى تطبيقه في الحياة اليومية وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم(١)، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام(١٥٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الأنعام(١٥٣).

وقد وصف الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز بالحق والهدى والنور والاستقامة وعدم الاعوجاج وانه يشر الصالحين والمصلحين بالثواب والنعيم، وينذر الفاسدين والمفسدين بالعذاب الأليم قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم(٩٨) وقال عز وجل ﴿قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ الكهف(٢)^(١) وكذلك وصف كتابه بأنه حق وصدق ولا يأتيه الباطل أبداً في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت(٤٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: أَنَّهُ الْمُهَيِّمُ عَلَى الْكُتُبِ كُلِّهَا وَ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ ^(٢).

(١) التفسير الكاشف: ج٤، ص٣٢٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢٧، ص: ١٩٠.

وقد قسم العلماء الناس تجاه الآيات القرآنية إلى ثلاثة أقسام:

١. الذين يكرسون اهتمامهم على أداء الألفاظ بشكل صحيح وتطبيق قواعد التجويد ومخارج الحروف وصفاتها بدقة ويرجعون في القراءة على طريقة المزامير التي ذمتها الشريعة الاسلامية الغراء ويشغلون أذهانهم بها وهذه ليست بشيء، وانما تدخل تحت الذم الوارد عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام وهؤلاء كمثّل الحمار يحمل أسفاراً وفي الحديث عن النبي ﷺ: (ما آمن بالقرآن من استحل محارمه)^(١) وعن أمير المؤمنين عليه السلام قُرَاءَ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ ... وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَحَفِظَ حُرُوفَهُ وَضَيَّعَ حُدُودَهُ^(٢)(٣) وسنين ذلك إن شاء الله في المباحث اللاحقة من هذا البحث.

٢. الذين تجاوزوا إطار الألفاظ وتعمقوا في المعاني والمعارف القرآنية، ولكنهم لا يعملون بما يفهمون فهؤلاء يقول القرآن عنهم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ الجمعة (٥)، وكذلك يقول عنهم: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف (٣).

٣. المؤمنون الذين يقرؤون الآيات القرآنية، فيجعلون دواءها على داءهم ويتفكرون فيها ويعملون بما يفهمون منها على قدر استطاعتهم جاهدين أنفسهم في التعلم والتعليم ما داموا في هذه الدنيا، ويتركون الأثر الطيب بعد رحيلهم عنها، ويتعاملون مع القرآن ككتاب عمل ومنهج للحياة ويعدون القراءة ومتعلقاتها

(١) إرشاد القلوب إلى الصواب، ج ١، ص: ٦٦.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ج ٢، ص: ٦٢٧.

(٣) نقله ابن كثير في تفسيره عن النبي ﷺ ج ٢ ص ١٢٨.

والتفكير في مفاهيم القرآن مقدمة للعمل به، ولذلك تصحو في نفوسهم روح جديدة كلما قرأوا القرآن ويتجدد فيهم الاستعداد للأعمال الصالحة وهذه هي التلاوة الحقة وكذلك فان هؤلاء القراء مصداق لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(قُرَاءُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ ... وَرَجُلٌ ^(١) قَرَأَ الْقُرْآنَ فَوَضَعَ دَوَاءَ الْقُرْآنِ عَلَى دَاءِ قَلْبِهِ وَأَسْهَرَ بِهِ لَيْلَهُ وَأَظْمَأَ بِهِ نَهَارَهُ وَقَامَ بِهِ فِي مَسَاجِدِهِ وَتَجَافَى بِهِ عَن فِرَاشِهِ فَبَأُولَئِكَ يُدْفَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْبَلَاءَ وَبِأُولَئِكَ يُدِيلُ ^(٢) اللَّهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَبِأُولَئِكَ يُنَزِّلُ اللَّهُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ وَاللَّهُ لَهُوْلَاءُ فِي قُرْآنِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ ^(٣) ^(٤) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله عندما سئل: أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ قال صلى الله عليه وآله: (مَنْ إِذَا سَمِعَتْ قِرَاءَتَهُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ) ^(٥) .

(١) المقصود كل من قرأ القرآن رجل أو امرأة كبير أو صغير.

(٢) يدبيل: ينصر المؤمنين على الأعداء.

(٣) الكافي، ج ٢، ص: ٦٢٧.

(٤) ورواه ابو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٧، ونقله الهندي في كنز العمال ج ١، ص ٦٢٣.

(٥) مجموعة ورام، ج ١، ص: ٣.

الفصل الثاني

أحكام القراءة الشرعية والفنية للقرآن الكريم

المطلب الأول: أحكام القراءة الفنية للقرآن الكريم

المطلب الثاني: أحكام القراءة الشرعية للقرآن الكريم

المطلب الثالث: المناقشة الفقهية لقواعد التجويد والمقارنة بين

قواعد التلاوة الشرعية والفنية

المطلب الأول: أحكام القراءة الفنية للقرآن الكريم.

سؤال: ما معنى القراءة؟

الجواب: الْقِرَاءَةُ: (معناها ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه من الصفة والمخرج والمد وغيرها من دون تكلف في النطق ولا تغيير في اللفظ المؤدي إلى تغيير المعنى)^(١)، والقراءة القرآنية الصحيحة هي القراءة الخالية من اللحن الجلي، واللحن الجلي: هو الخطأ الذي يطرأ على الألفاظ فيخل بالقراءة والمعنى، كأن يكون بتغيير حرف بحرف أو حركة مكان حركة أو كلمة مكان كلمة، وهذا النوع من الخطأ يحصل للمبتدئين بالقراءة وقليلاً ما يكون عند القراء المتقنين، ويجب الحذر من هذا النوع من الخطأ لأنه يخل بالمعنى لذلك فهو محرم إلا للمبتدئين على نحو التعلم، لأنه ورد عن أهل البيت عليهم السلام في (بَابُ مَنْ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ بِمَشَقَّةٍ).

فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ الَّذِي يُعَالِجُ الْقُرْآنَ وَيَحْفَظُهُ بِمَشَقَّةٍ مِنْهُ وَقَلَّةٍ حَفِظَ لَهُ أَجْرَانِ)^(٢).

وعنه عليه السلام قَالَ: (مَنْ شُدِّدَ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ وَمَنْ يُسَّرَ عَلَيْهِ كَانَ مَعَ الْأَوَّلِينَ)^{(٣)(٤)}.

أما اللحن الخفي: (فهو خطأ يحصل في أحكام التلاوة ولا يخل بالمعنى وهذا

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص: ٦٦٩.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ج ٢، ص: ٦٠٧.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ج ٢، ص: ٦٠٧.

(٤) واخرجه الدارمي في سننه ج ٢ ص ٤٣٧.

النوع من الخطأ لا يعرف إلا من قبل المختصين في علم التجويد ولا إشكال في وقوعه في سواد القراءة^(١).

سؤال: من هو واضع علم التجويد؟

الجواب: قيل أول من وضع علم التجويد هو أبو الأسود الدؤلي وقيل أبو القاسم عبيد بن الصباح وقيل الخليل بن أحمد الفراهيدي وقيل أئمة القراءات وقيل غيرهم^(٢).

ويلاحظ من خلال الأجوبة المختلفة أن هذا العلم مختلف في أصله ولم يرد عن النبي ﷺ ولا عن إمام معصوم.

ولعل سائلاً يسأل ماهي حدود تطبيق أحكام التلاوة؟

الجواب: أحكام التلاوة: يفضل الأخذ بها على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيها الحد الى الإفراط بحيث يكون تكلف في أداء الحروف والحركات وتكرار الرءات والمبالغة في الغنن والقلقلة، لأن ذلك كما يقول المثل (فوق البياض برص، وفوق التجعيد ققط) ويقال هذا المثل لمن يبالغ في التدقيق في القراءة وما فوق القراءة ليس بقراءة^(٣).

(١) الكافي لأحكام التجويد، ص ١٢.

المجتهدون: المبالغون في ارشاد الناس وترويج الحق، المعالجة: المزولة.

(٢) المختصر المفيد لأحكام التجويد ص ٩.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٢٤٧.

مستويات القراءة الفنية:

إن لكل شيء مستوى والقراءة لها أيضاً مستويات ورب سائل يسأل ما هي مستويات تعلم وتعليم قراءة القرآن؟

الجواب: (تنقسم مستويات تعلم وتعليم القراءة القرآنية الى ثلاثة مستويات):

١. المستوى الأول: سواد القراءة للمبتدئين:

وهذا يكون للمبتدئين وهو تعلم الدارس لأداء الحروف والكلمات والحركات والجمل بشكل صحيح بحيث يميزها السامع، وهذا ما يعرف بسواد القراءة، وتكون خالية من اللحن الجلي الذي بيناه سابقاً بحيث تكون مطابقة لأصول الكلام العربي المتفق عليه عند مشهور الفقهاء وأهل اللغة، وهذا يكفي للقراءة الشرعية، لأنه يؤدي المعنى المراد من الآيات القرآنية، ويصلح هذا المستوى لتعليم عامة الناس ومن مختلف شرائح المجتمع .

٢. المستوى الثاني: قراءة المُتقنين:

الذين يجيدون القراءة للمستوى الأول بمهارة ويضيفون إلى المستوى الأول تطبيق جميع أحكام التلاوة المعروفة في علم التجويد بشكل متقن مع المحافظة على الوقف والابتداء الحسن والصحيح والتام، وهذه الطريقة تتبع لإعداد المعلمين والمقرئين المختصين في مجال تعليم القرآن لعامة الناس .

٣. المستوى الثالث: قراءة المحترفين:

وهم الذين أتقنوا المستويين الأول والثاني وأضافوا اليهما التدقيق والتحقيق في جزئيات القراءة، مع المحافظة على الوقف والابتداء التام والاسترسال والمطاوله في القراءة من دون تلوُّ وتعب ويجيدون التغيير في أنماط القراءة والانتقال فيما بينها بمهارة، وهذا المستوى يستخدم لإعداد القراء أو المعلمين المتقنين الذين يقرؤون في المسابقات القرآنية والختمات المرتلة والمجودة والأمسيات التي تعقد في مختلف الأماكن والمناسبات^(١).

(١) المصدر سلسلة محاضرات في علم قراءة القرآن للأستاذ مهدي سيف في جامعة المصطفى العالمية عام ٢٠٠٨ م.

المطلب الثاني: أحكام القراءة الشرعية للقرآن الكريم

أحكام التلاوة المطلوبة في قراءة الصلاة عند مشهور الفقهاء:

(إن مراجعة ماجاء في الرسائل العملية عند مشهور الفقهاء أعلى الله درجاتهم في باب المسائل الخاصة بأحكام القراءة في الصلاة نستنتج أن هناك مجموعة من الأحكام الخاصة باصول القراءة في الصلاة والتي تعتبر معيارا للقراءة الشرعية للقرآن)^(١) وسنبين ذلك فيما يلي.

المقدار الواجب من أحكام التجويد في القراءة الشرعية^(٢):

إن الشريعة الإسلامية فرضت القراءة في الصلاة، فلا بد أن نتعرض لبعض التفاصيل في قراءة القرآن الكريم، والتي لها أثر فعليٌّ في قراءة الصلاة وخاصة إذا اختار المصلي سورة مما قد يقع الكلام عنها في هذا المجال .

سؤال: هل يجوز القراءة في الصلاة بغير المصحف المتداول بين أيدينا الآن؟

الجواب: (هناك كلمات في القرآن الكريم قُرئت بأشكال مختلفة ولكن النص المكتوب في القرآن الذي بين أيدينا صحيح بلا إشكال).

وما ثبت بدليل خاص عن الأئمة عليهم السلام إن آية قراءة كانت موجودة في زمن المعصومين عليهم السلام سواء قرؤوها هم أو غيرهم (ولكن في زمانهم) ولم يعترضوا عليها جازت القراءة بها، وإذا لم يثبت بدليل خاص أن هذه القراءة لم تكن

(١) منهاج الصالحين: السيد الخوئي، السيد السيستاني، السيد محسن الحكيم، كتاب العبادات، باب القراءة في الصلاة، الصراط القويم، السيد محمد صادق الصدر القراءة في الصلاة.

(٢) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ المتعلقة بالقراءة في الصلاة .

في زمن الأئمة عليهم السلام فلا يجوز القراءة بها. وهناك من القراء قرؤوا مثل حفص وورش وقالون وغيرهم قرؤوا بأشكال مختلفة فاذا لم يثبت أن قراءتهم كانت في زمان المعصومين عليهم السلام وأنهم أمضوها فلا يصح القراءة بها.

والخلاصة: أن يقرأ الإنسان في الصلاة ما موجود في المصحف الشريف الذي بين أيدينا بلا إشكال، نعم من الموارد التي تثبت القراءة فيها بأكثر من قراءة يجوز القراءة بها .

وهناك موردان في سورة الحمد ومورد واحد في سورة الإخلاص. ففي سورة الحمد يجوز أن يقرأ (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)، والمورد الثاني الذي تجوز فيه القراءة بوجهين كلمة الصراط في قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) فهذه تقرأ بالصاد والسين ولا يجوز القراءة بغيرهما.

أما المورد الآخر فهو في سورة التوحيد في كلمة (كفواً) فتقرأ بأربعة وجوه (كُفُواً) ضم الكاف والفاء والتنوين على الألف، و(كُفُوً) بضم الكاف والفاء والتنوين على الهمز، و(كُفُواً) بضم الكاف وسكون الفاء والتنوين على الألف، و(كُفُوً) بضم الكاف وسكون الفاء والتنوين على الهمز، ولا يجوز القراءة بغير هذه الوجوه لأن هذا كان في زمن الأئمة عليهم السلام وثبت بدليل خاص^(١).

(١) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٥ المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

والأفضل للمصلي هو أن يقرأ على ما موجود في المصحف الحالي كما قدمنا لقول الإمام الصادق عليه السلام: (إقرؤوا كما يقرأ الناس)^(١) ^(٢)، وربما كان الناس في عصر الأئمة عليهم السلام يقرأون بطريقة معينة والأئمة لم يعترضوا عليهم وهذا يسمى بالتقرير (تقرير المعصوم) أي (قوله وفعله وتقريره)^(٣).

(قاعدة عامة: إذا أراد الإنسان أن يحتاط في القراءة في غير ما ذكرناه فعليه أن يقرأ على ما موجود في المصحف المتداول بين أيدينا وفق الأسلوب العربي بأداء الكلمات والحروف والحركات والجمل بالشكل الصحيح الخالي من اللحن الجلي)^(٤).

أما الهمزة فتنقسم إلى قسمين همزة وصل وهمزة قطع، همزة الوصل تسقط في درج الكلام وتثبت في بداية الكلام مثل همزة (اهدنا) تثبت إذا ابتداء بها وتسقط إذا أدرجت في الكلام.

وأما همزة القطع فيجب أن تظهر في كل الأحوال في الدرج أو في الإبتداء مثل همزة (إياك نعبد) وهمزة (أنعمت)^(٥).

(١) الكافي: ج ٢، ص ٦٣١، ح ١٥.

(٢) العطار في التمهيد في معرفة التجويد ص ١٢٣.

(٣) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٤ المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

(٤) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٦ المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

(٥) منهاج الصالحين: السيد الخوئي، السيد السيستاني، مسألة: (٦٠٧).

حكم المدّ المتّصل والمنفصل والمثقل في قراءة الصّلاة^(١):

المدّ المتّصل: وهو المدّ الذي يقع في كلمة واحدة مثل جاء، ماء، وهذا إلزامي.

المد المنفصل: وهو المد الذي يقع في كلمتين مثل (إنّا أعطيناك الكوثر)، وهذا غير إلزامي ويجوز تركه أصلاً.

المدّ الكلميّ المثقل: وهو المدّ الذي يقع على الألف بعد السكون مثل كلمة (الضّالّين) وهذا إلزامي عند السيّد الخوئيّ (قده) في هذين المديّن المتّصل واللازم الكلميّ المثقل (احتياط وجوبي)^(٢).

أما عند السيّد السيستانيّ (دام ظلّه) فكلّا المديّن غير لازمين ولكن المدّ أفضل ومن محسنات الكلام (احتياط استحبابي)^(٣).

قاعدة ١: (الإدغام الشمسيّ واجب في قراءة الصلاة عند جمهور الفقهاء وخصوصاً عند السيدين الخوئيّ (قده) والسيستانيّ (دام ظلّه)، فعندهما فيه احتياط وجوبي وهذه قاعدة في أصول الكلام العربي ولا علاقة لها بأحكام التلاوة)^(٤).

أما الإدغام للتّون الساكنة والتّوين الذي يأتي بعده أحد حروف يرملون فهي واجبة عند السيّد الخوئيّ (قده)، أما القلقلة والإقلاب والغنة والإخفاء وغيرها

(١) سلسلة محاضرات فقهية للسيّد صباح شبر الحلقة ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

(٢) منهاج الصالحين/ باب القراءة في الصلاة: السيّد الخوئيّ، مسألة (٦٠٩).

(٣) منهاج الصالحين/ باب القراءة في الصلاة: السيّد السيستانيّ، مسألة (٦٠٩).

(٤) منهاج الصالحين: السيّد الخوئيّ، السيّد السيستانيّ، مسألة (٦١١).

من الأحكام الموجودة في علم التجويد فهي غير إلزامية عند جمهور الفقهاء ومنهم السيّد السيستاني (دام ظله) فعنده كل هذه غير ملزمة ولكنها تعتبر من محسنات القراءة^(١).

قاعدة ٢: يجب أن تكون قراءة الصلاة بشكل صحيح من حيث الكلمات والحروف والحركات والأفضل أن تكون مرتلة إلا إذا كان في لسان المصليّ علة فهذا معذور كما بينا^(٢).

قاعدة ٣: الوقف يكون بالسكون والدَّرَجُ بالحركة وهذا يعني عدم إصاق بعض الحروف والحركات ببعض، وعدم إهمال الحركات عند التوصيل في الكلام وهذا احتياط وجوبي عند السيد الخوئي رحمته الله واحتياط استحبابي عند السيد السيستاني رحمته الله وهذا من أصول الكلام العربي^(٣).

قاعدة ٤: التاء المربوطة يوقف عليها بالهاء إلا اذا كانت من غير بنية الكلمة أي ضمير، وإذا وصلت تقرأ تاء ككلمة شجرة وامرأة وتوراة وهذا من أصول الكلام العربي^(٤).

(١) منهاج الصالحين: السيد السيستاني، مسألة (٦١٠).

(٢) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

(٣) منهاج الصالحين: السيد الخوئي، السيد السيستاني، مسألة ٦٠٨.

(٤) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

قاعدة ٥: هاء الضمير لا تخضع لقاعدة التاء والهاء عند الوقف والوصل وهذه من أصول الكلام العربي^(١).

قاعدة ٦: كل حرفين متماثلين إذا كانا في كلمة واحدة يدغمان ويكونان حرفاً واحداً مشدداً مثل عدَّ ومدَّ وسرَّ، وهذا واجب عند السيديين الخوئيّ (قده) والسيستانيّ (دام ظله)، أما إذا كان الحرفان في كلمتين منفصلتين مثل (اذهب بكتابي) فلا وجوب في ادغامهما عند السيديين الخوئيّ والسيستانيّ^(٢).

(١) سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ المتعلقة بالقراءة في الصلاة .

(٢) منهاج الصالحين: السيد الخوئيّ رحمته الله، السيد السيستاني دام ظله، مسألة ٦١٢ .

المطلب الثالث: المناقشة الفقهية لقواعد التّجويد والمقارنة بين قواعد

التلاوة الشرعية والفنية:

أولاً: المناقشة الفقهية لقواعد التّجويد^(١):

لا إشكال من الناحية الفقهية، من كفاية قراءة القرآن الكريم في الصلاة أو غيرها، بشكل مطابق للفصاحة في الجملة، وللقواعد النحوية، من ناحية أخرى بل أفتى المشهور من الفقهاء أن الخطأ النحوي إذا لم يغيّر المعنى كان مجزياً، ولا يجب إعادته، وإن كان الأحوط استحباباً، لكن ينبغي أن يكون الفرد غير متعمد، كما هو معنى الخطأ .

وإما أن يتوخى الفرد أعلى أشكال الفصاحة في قراءته، فلم يُفتَ أحد بوجوبه، والمقصود هو تطبيق قواعد التّجويد، التي تجعل القراءة أفصح وألطف، ولكن الإنصاف أن تطبيقات قواعد التّجويد قابلة للمبالغة أحياناً، فيتورط الإنسان في السماجة^(٢) في قراءته بدلاً أن ينال الجمال والكمال .

بل وجد من الفقهاء، من يستشكل في أساليب الاقلاب والإبدال والقلقلة والإشمام والروم وغيرها المقترحة في علم التّجويد، بل يجب أن تبقى الحروف على طبعها الأول في النطق لتكون فصيحة . ويؤيد ذلك أننا نستطيع التأكيد أن القرآن لم ينزل على طريقة التّجويد، بل نزل على اللفظ الاعتيادي، فإن أراد الفرد أن يقرأ القرآن على ما أنزل فيجب أن يقرأه بلفظه الاعتيادي .

(١) ما وراء الفقه: السيد محمد صادق الصدر رحمته الله: الجزء الأول ص ٢٩٨ .

(٢) السماجة: القبح في الشيء .

فالإقلاب والإبدال المقترح في علم الصرف والحركات المقترحة في علم النحو ضرورية للفصاحة ونعلم بنزول القرآن بها .

وأما الإقلاب والإبدال المقترح في علم التجويد فالأمر فيه مختلف تماماً . بل الأمر عند فقهاءنا أكثر من ذلك كما سنرى حيث يعتبر من واضحات وأوليات علم التجويد .

إن المنع من الوقف مع الحركة ومن الدرج بالسكون، فإن سَكَنَ القارىء الحرف الأخير وجب عليه الوقف، وإن حركه وجب عليه الدرج .

ولا أعهد أحداً من الفقهاء أفتى بوجود ذلك بصراحة، لوضوح عدم الدليل من الكتاب والسنة عليه، فهم بين محتاط وجوباً ومحتاط استحباباً، كما عليه (أعني الإستحباب) بعض أساتذتنا والسيد الأستاذ^(١) .

ولا يخفى أن الدليل معهم، فإن السرعة في قراءة القرآن الكريم مفروضة ومنتشرة، كما أن سائر الطبقات ومختلف الثقافات، بل حتى مختلف اللغات من يقرأ القرآن الكريم . وهذا أمر يُشكّل سيرة قطعية قائمة منذ زمان المعصومين عليهم السلام إلى العصر الحاضر، الأمر الذي يبرهن على أن كل التسامحات التي تحدث مع سرعة القراءة أو عدم إتقانها النسبي، مما لا يخل بالمعنى أو بأقل درجات الفصاحة، أو لم يكن عمدياً، فهو مسموح به شرعاً .

وبدلاً من أن نتوقع النهي عن هذه السيرة فإننا نرى العشرات من الروايات

(١) السيد الخوئي رحمته الله .

الدالة على الإكثار من قراءة القرآن وتكراره^(١)، الأمر الذي يشكل إمضاء لتلك السيرة لا نهياً عنها .

ومن الواضح، أن أكثر قواعد التجويد عدداً بل أكثرها وضوحاً مما لا يلتزم به الناس في القراءة البطيئة فضلاً عن السريعة . الأمر الذي يجعل الإحتياط الوجوبي بالنسبة إليها أمراً متعذراً، فضلاً عن الفتوى بالوجوب .

وأما الوجه في الإحتياط الإستحبابي، فليس إلاً توخي عدم مضادة قول من يرى الإحتياط الوجوبي .

وقد يقال: أن هناك من الأدلة ما يكفي للفتوى بالإستحباب باتباع قواعد التجويد، وليس الإحتياط الإستحبابي فقط .
منها: قوله تعالى ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٢) .

(ورواية عبد الله بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله - عز وجل ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينه تبييناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)^(٣) وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ . قال: (هو أن تتمكث فيه)^(٤) .

(١) هناك روايات كثيرة في الحث على تلاوة القرآن في المصادر المختصة ومن أراد الإطلاع فليراجع تلك المصادر ولايسعنا المجال لذكرها لكونها خارج نطاق بحثنا.

(٢) المزمّل: ٤ .

(٣) وكذلك رواه عبد الله بن عباس، وأخرجه بن أبي شيبه في مصنفه ج ١٠ ص ٥٢٦ والعتار في التمهيد، والطبري في تفسيره.

(٤) وسائل الشيعة ج٦، ص ٢٠٨ .

وعن الصادق عليه السلام قال: (فَرْتَلُهُ تَرْتِيلاً وَ قِفْ عِنْدَ وَعْدِهِ وَ وَعِيدِهِ وَ تَفَكَّرْ فِي أَمْثَالِهِ وَ مَوَاعِظِهِ وَ أَحْذَرْ أَنْ تَقَعَ مِنْ إِقَامَتِكَ حُرُوفَهُ فِي إِضَاعَةِ حُدُودِهِ)^(١)

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده فقال: إن علي بن الحسن عليه السلام كان يقرأ فربما مرَّ به المار فصعق من حسن صوته^(٢) وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام): أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ - وَ كَانَ السَّقَاوُونَ يَمُرُّونَ فَيَقْفُونَ بِبَابِهِ يَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ)^(٣) إِلَّا أَنْ غَايَةَ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ هُوَ اسْتِحْبَابُ الْبَطْءِ فِي الْقِرَاءَةِ^(٤) وَهَذَا لَا يَقْتَضِي اتِّبَاعَ قَوَاعِدِ عِلْمِ التَّجْوِيدِ وَلَا الْقِرَاءَةَ بِالْمَقَامَاتِ الْمَعْرُوفَةِ حَالِيًا كَمَا سَنَرَى فِي الْمُبَاحِثِ اللَّاحِقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بَلْ يَتِمُّ مَعَ اتِّبَاعِ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ فَقَطْ . فَلَعَلَّ قِرَاءَةَ التَّجْوِيدِ تَبْقَى مِنْ دُونِ دَلِيلٍ حَتَّى عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ .

نعم، لو قلنا بأن التجويد - عرفاً - مندرج في معنى تحسين الصوت وتحسين طريقة القراءة، كما لا يبعد، في كثير من قواعده، أمكن القول باستحبابه، إلا أننا قلنا أن المبالغة فيه قد تؤدي إلى السماجة^(٥) أحياناً.

قال بعضهم: وقد يبالغ بعض القراء في التفخيم والترقيق بحيث يفقد الحرف

(١) مصباح الشريعة، ص: ٣٠.

(٢) وعن النبي صلى الله عليه وآله عندما سئل أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ قال صلى الله عليه وآله: (مَنْ إِذَا سَمِعَتْ قِرَاءَتَهُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يُحْسِي اللَّهُ). أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٣٧ والعتار في التمهيد. وليس معنى ذلك ان الإمام السجاد عليه السلام كان يقرأ بالمقامات المعروفة الآن.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٦، ص: ٢١١.

(٤) وكذلك أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٣، ص ١٣.

(٥) السماجة: القبح في الشيء.

وجوده عند الترقيق، أو يتحول إلى حالة الحصرمة عند التفخيم، وإنما يراعى دائماً التوسط دون التكلف أو التعسف، وقال في مورد آخر: وهناك من يكسر الحرف الساكن سكون بناء كي يتمكن من النطق بالحرف الأخير، وهو ساكن في حالة الإظهار مثل: بكر، بعض، علم. ولا يجوز وقوعه في القرآن.

وقال في مورد آخر: ولا تفخّم اللام إلا في كلمة واحدة هي لفظ الجلالة، وهذا عند حفص وبقية القراء عدا ورش فإنه يفخّم اللام في لفظ الجلالة وفي غير لفظ الجلالة عندما يأتي قبلها حرف إطباق. نحو (ظلوا، من أظلم، الصلاة، مصلى، الطلاق، طلقتم) أقول: ولا شك في سماجة تضخيم اللام في هذه الموارد وعدم عرفيتها.

وقال في مورد آخر: ومن الإدغامات الشائعة على ألسنة العامة إدغامهم التاء في الطاء في قراءة (قالت طائفة)، وإدغام الدال في التاء في قوله (قد تبين)، والذال في الظاء مثل (إذ ظلموا) والتاء في الذال مثل (يلهث ذلك) والذال في التاء مثل (مهّدت) والقاف في الكاف مثل (نخلقكم) وغيرها من الموارد، وقال في مورد آخر: والأولى النطق بالحرف على غير هيئة التشديد الذي أسموه بالانفجار الصوتي أو النبرة القوية (والذي يعرف بالقلقلة الكبرى في علم التجويد) الذي يؤدي إلى خلخلة في الصوت وبشاعة في النطق، مما تنزه عنه اللغة العربية ذات الجرس اللفظي المتزن.

ومن الخطأ كذلك ما يقع فيه بعض القراء المصريين من كسر حروف القلقلّة بدل تسكينها، مثل قولهم (سبحان) بدل (سبحان). (وقد كان) بدل (قد كان).

نقول: إلى غير ذلك من موارد السماجة التي تأتي بها المبالغة في تطبيق قواعد التجويد، فلعل الفتوى بكراتهاها أولى، ولكن في الحدود الإعتيادية من هذه القواعد، مع المطابقة للذوق السليم، يمكن أن يقال: بأنه تحسين مندرج في كبرى الإستحباب ولكن الفتوى بوجوبه، مما لا وجه له .

وهذا يكفي في مناقشة علم التجويد فقهياً، بدون حاجة إلى الدخول في تفاصيل قواعده، هذا عند علماء الإمامية أما عند غيرهم فالأمر مشابه لما قاله علماء الإمامية وهذا واضح في آراء مشهور علمائهم^(١).

(١) فتوى ابن باز والعثيمين في أحكام التجويد المبتدعة - فضيلة الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين رحمه الله، بسم الله الرحمن الرحيم السؤال: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد: نحن مجموعة مدرسين رشحنا لدورة في القرآن الكريم ودراسة علم التجويد وقد أفادنا مدرس التجويد [أن التجويد ينقسم إلى قسمين: علمي وعملي، أما العلمي فرض كفاية، وأما العملي واجب على كل قارئ من مسلم ومسلمة] أي: أن تطبيق أحكام التجويد واجب على كل مسلم ومسلمة.

أرجو بيان الحق في ذلك على ضوء من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلم أنه يستدل بقوله تعالى ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾، وجزاكم الله خيراً.

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وبعد:

لا أعلم دليلاً شرعياً يدل على وجوب الالتزام بأحكام التجويد، أما قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾، فهو يدل على شرعية التمهّل بالقراءة وعدم العجلة. وفق الله الجميع لما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز ١٢/١١/١٤١٥ هـ.

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: ما رأي فضيلتكم في تعلم التجويد والالتزام به؟
أجاب - رحمه الله -: لا أرى وجوب الالتزام بأحكام التجويد التي فصلت بكتب التجويد وإنما أرى أنها من باب تحسين القراءة وباب التحسين غير باب الإلزام، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أنس

ثانياً: المقارنة بين قواعد التلاوة الشرعية والفنية:

تنقسم القراءة كما بينا إلى قسمين: القراءة الشرعية، و القراءة الفنية.

١ - القراءة الشرعية:

لو ألقينا نظرة على الأسس الفنية المطلوبة في قراءة القرآن وكذلك الأسس الشرعية للقراءة القرآنية عند مشهور الفقهاء والذين اعتبروا قراءة الصلاة هي المعيار لقراءة القرآن الشرعية، سنلاحظ أن هناك كثيراً من القواعد الفنية غير

بن مالك-رضي الله عنه- انه سئل كيف كانت قراءة النبي-صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مداً

ثم قرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم.

والمد هنا طبيعي لا يحتاج إلى تعمده والنص عليه هنا يدل على أنه فوق الطبيعي ولو قيل: بأن العلم بأحكام التجويد المفصلة في كتب التجويد واجب للزم تأييم أكثر المسلمين اليوم ولقلنا لمن أراد التحديث باللغة الفصحى: طبق أحكام التجويد في نطقك بالحديث وكتب أهل العلم وتعليمك ومواعظك.

وليعلم أن القول بالوجوب يحتاج إلى دليل تبرأ به الذمة أمام الله في إزام عباده بما لا دليل على إزامهم

به من كتاب الله أو سنة رسول ﷺ أو إجماع المسلمين وقد ذكر شيخنا عبدالرحمن بن سعدي -رحمه

الله- في جواب له أن التجويد حسب القواعد المفصلة في كتب التجويد غير واجب.

وقد اطلعت على كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية حول حكم التجويد قال فيه صفحة ٥٠ مجلد ١٦ من

مجموع ابن قاسم للفتاوى: (ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن أما

بالوسوسة في خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط

وغير ذلك فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه وكذلك شغل النطق

بد(أنذرتهم) وضم الميم من (عليهم) ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها ونحو ذلك وكذلك

مراعاة النغم وتحسين الصوت) انتهى. [منقول من كتاب العلم للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه

الله، طبعة دار الثريا للنشر، صفحة ١٧٠-١٧١، سؤال رقم ٧٠].

مطلوبة في القراءة الشرعية للقرآن كالإمالة والاشمام والتسهيل والغنة والقلقلة والإدغام والإخفاء والإظهار والتفخيم والترقيق والإستعلاء والإستفال والإقلاب وغيرها في حين أن هذه القواعد يصعب تطبيقها كثيراً على عامة الناس وتكون عاملاً مهماً في ابتعادهم عن قراءة القرآن، وقد نوهنا الى ذلك عند ذكر مستويات تعليم وتعلم القراءة القرآنية، فالمستوى الأول من القراءة والذي هو أداء الحروف والكلمات والحركات والجمل بشكل صحيح وخالٍ من اللحن الجليّ تكفي لأداء القراءة الشرعية المطلوبة، هذا فيما يتعلق بالمتعلمين من عامة الناس والذين تشغلهم متاعب الحياة وتدير شؤون الأسرة وكسب لقمة العيش وتلهيهم عن التفرغ لتعلم الأحكام الدقيقة للقراءة القرآنية، ويريدون أن يقرؤوا القرآن طلباً لمرضاة الله تبارك وتعالى فهؤلاء هم المقصودون بالتخفيف عليهم في التعلم .

٢- القراءة الفنية:

أما الإختصاصيون من القراء والمعلمين ومن يريد تعلم القراءة الفنية الدقيقة من بقية الناس، فهؤلاء ينتقلون الى المستوى الثاني والثالث مما ذكرنا في فقرة مستويات القراءة آنفاً، لأنهم يجب أن يتعلموا دقائق تفاصيل القراءة الواجبة والمستحبة.

وبذلك يُقبل الناس على تعلم قراءة القرآن بشكل كبير حيث أن الله تعالى سهل تعلم القرآن وتعليمه وتطبيقه كما بينا في بداية البحث فقرة الآيات التي تدل على تسهيل تعلم القرآن.

وجدير بالذكر أن تطبيق أحكام القراءة القرآنية الفنية مستحب ويؤدي إلى قراءة جميلة ومرتبة وتجذب السامع وهذا لا ينكر، وقد أشار إلى ذلك علماء القراءة علماً أنه لا يوجد دليل على أن أحكام القراءة المعروفة حالياً كانت موجودة في زمن النبي ﷺ أو الائمة عليهم السلام أو أنها وضعت من قبلهم أو أشاروا إليها في أحاديثهم ما عدا حديثاً واحداً عن أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الترتيل وقد أشرنا إلى ذلك في فقرة كيف يقرأ القرآن.

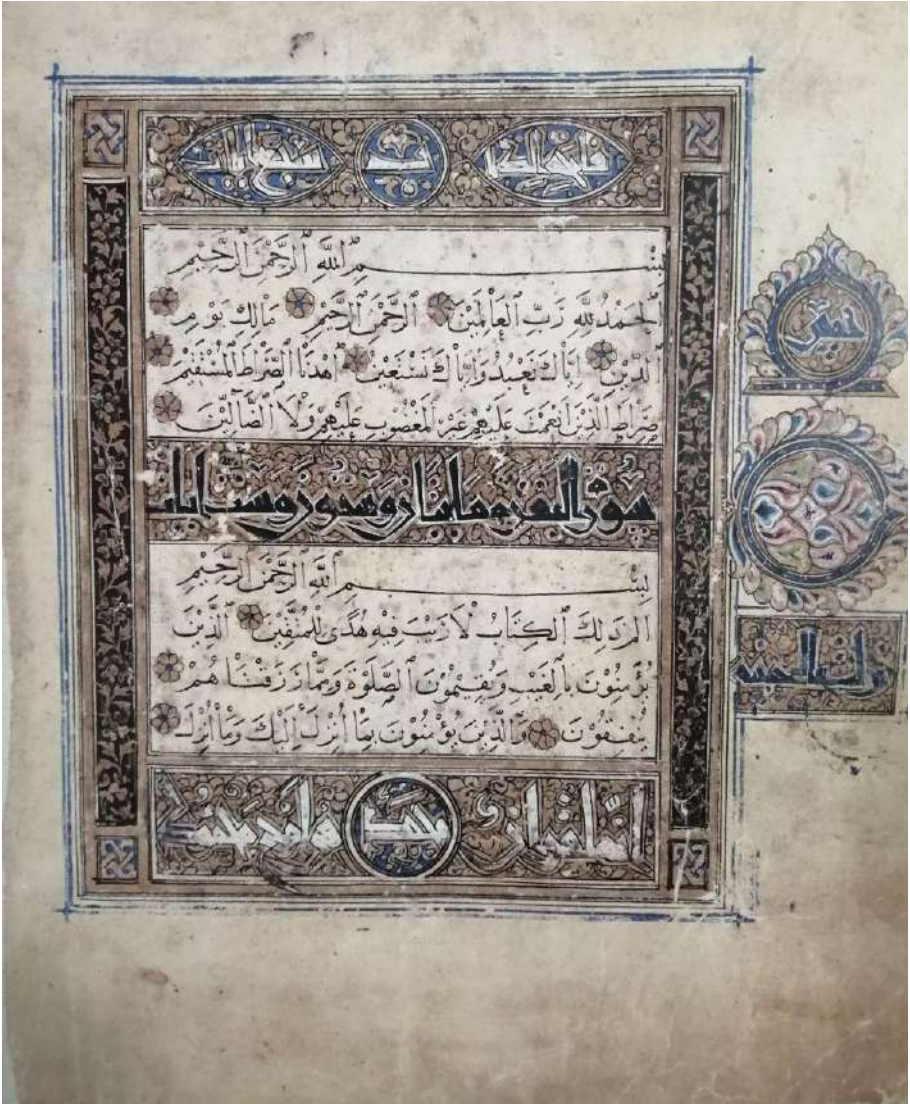
صور مخطوطات:

سنيين من خلال مجموعة من النسخ المخطوطة للقرآن الكريم والتي كتبت في فترات زمنية مختلفة يلاحظ فيها أن خط القرآن الكريم المكتوب في تلك الفترات الزمنية لم يكن يتضمن أحكام التلاوة في خط الكلمات وإنما ظهرت في المراحل المتأخرة من الزمن وكما هو واضح لمن يراجع تلك المخطوطات.

صور مخطوطات

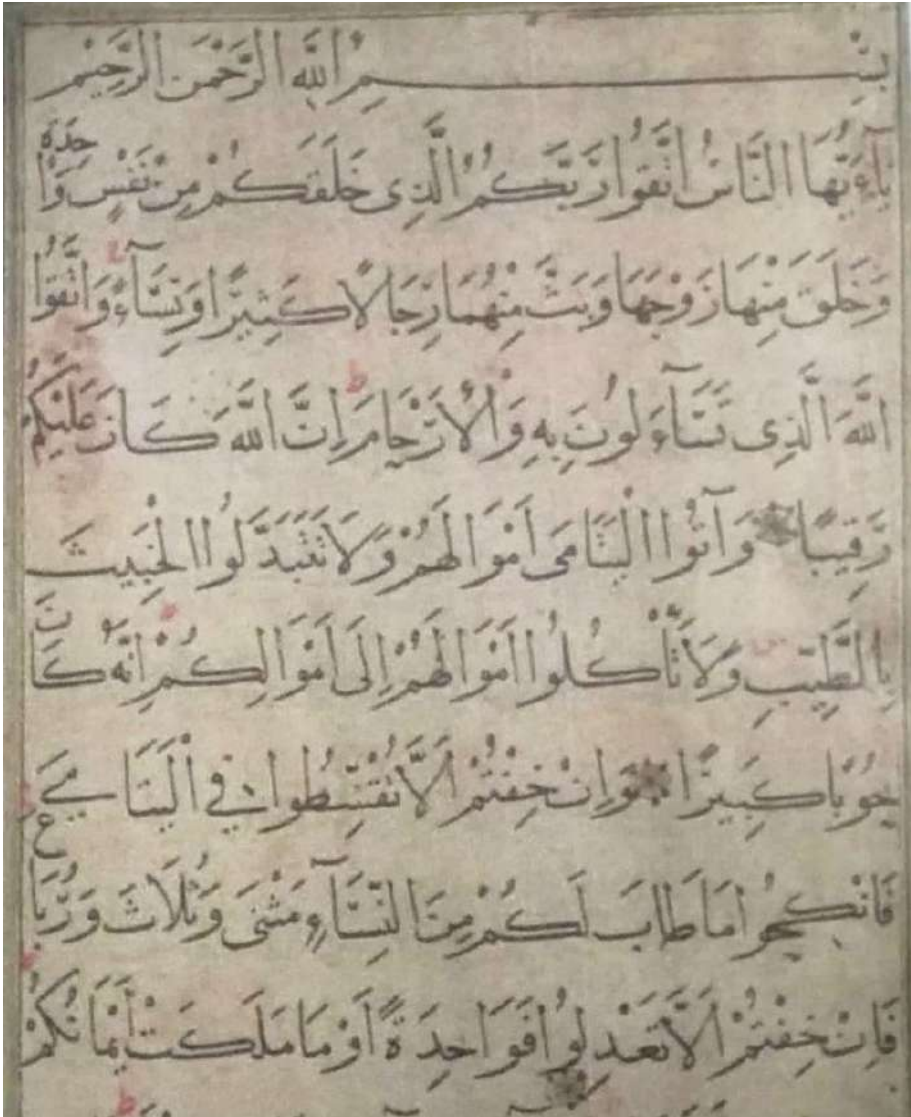
نسخة ياقوت المستعصي كتبت سنة ٦٨٨ هـ

خالية من أحكام التلاوة وترقيم الآيات وعلامات الوقوف



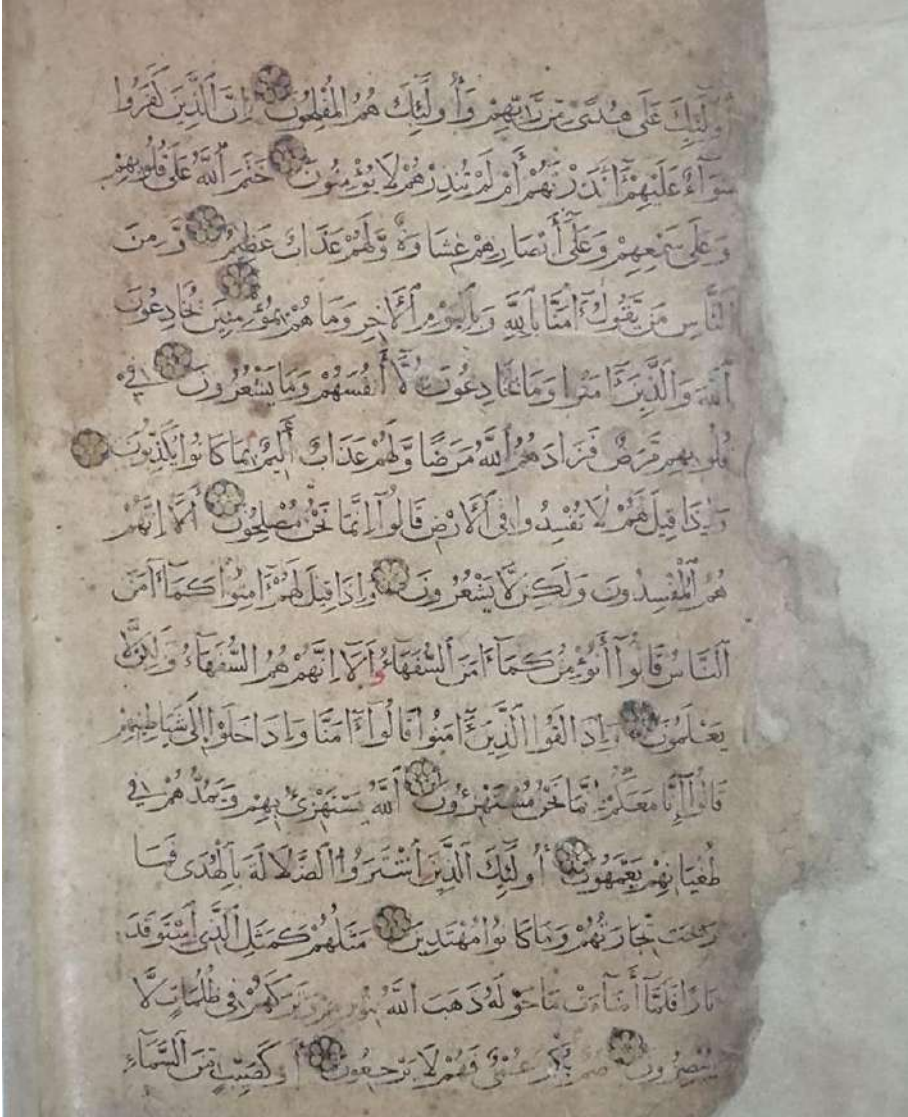
نسخة ياقوت المستعصي كتبت سنة ٦٩١ هـ

خالية من أحكام التلاوة وترقيم الآيات وفيها علامات الوقوف



نسخة ميرزا سعيد باشا كتبت سنة ٧٢٧هـ

خالية من أحكام التلاوة وترقيم الآيات وعلامات الوقوف



نسخة متحف وولترز - امريكا - كتبت ١٠٦٧ هـ

خالية من أحكام التلاوة وترقيم الآيات وتحتوي على علامات الوقوف



نسخة أحمد النيريزي كتبت ١١٢٢ هـ

خالية من أحكام التلاوة وترقيم الآيات وتحتوي على علامات الوقوف

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ أُولَئِكَ بَرُّونَ رَحِمَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ
 لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ
 قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْبَنَاءِ قُلْ صَلَاحُ لَهُمْ
 خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَانْحُوا أَنفُسَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
 مِنَ الْمَصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْنَاكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
 وَلَا تَتَّبِعُوا هَوَى الشُّرَكَاءِ حَتَّى يَبُوءُوا مَوَازِينَهُمْ خَيْرٌ

نسخة مصحف المدينة في الوقت الحاضر يلاحظ فيها تثبيت أحكام
التلاوة وعلامات الوقوف الحديثة وترقيم الآيات

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
 الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
 ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَى الْيَنَابِضِ بِأَيْسَرٍ ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
 لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
 وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
 مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ
 لِيَذَّكُرُوا فَأَتَتْ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
 لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ
 وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
 وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾



الفصل الثالث

شبهة التغني بالقرآن والرد عليها

المطلب الأول: شبهة التغني بالقرآن الكريم

المطلب الثاني: الرد على شبهة التغني بالقرآن الكريم

المطلب الثالث: في حرمة الغناء والتغني

المطلب الأول: شبهة التغمي بالقرآن في مدرسة الصحابة والتابعين^(١):

التغمي: له معنيان معنَى الاستغناء، ومعنَى التَّطْرِبِ^(٢).

مفهوم الغناء والتغمي:

جاء في كتاب التغمي بالقرآن لمؤلفه لبيب سعيد ما نصه:

١. إن من الخصائص اللافتة في الشعوب العربية الإسلامية أنها تهوى - في كل مجالات حياتها - الألحان المطربة والنعيمات المشجية: تهواها مرددة إياها، وتهواها مصغية إليها، ومن العادات الملحوظة وذات الدلالة في هذه الشعوب أن الأطفال يغنون، والباعة إذ يروجون لبضائعهم يغنون، بل إن النساء حين يبكين موتاهن الأعزّة يغنين .

٢. وقد عنيت الثقافة العربية الإسلامية بالغناء والألحان: ففي اللغة: الغناء من الصوت ما طرب به . . . وقد غنى بالشعر، وتغنى به . . . وغناء بالشعر، وغناء إياه . . . ويقال: غنى فلان يغنى أغنية، وتغنى بأغنية حسنة، وجمعها الأغاني . . . وغنى بالمرأة: تغزل بها غناه بها: ذكره إياها . . . وغنى الحمام، وتغنى: صوت وقال أبو العباس: ويقال إن الغناء إنما سمي غناء، لأنه يستغنى به صاحبه عن كثير من الأحاديث، ويفر إليه منها، ويؤثره عليها^(٣).

(١) ملحوظة: هذا المطلب تضمن نص ماجاء في كتاب التغمي بالقرآن لمؤلفه لبيب سعيد حرفياً ومن دون أي تعليق عليه لكي يطلع القارئ الكريم .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢٠، ص: ٣٠.

(٣) انظر: ابن منظور: لسان العرب فصل الغين، حرف الواو والياء .

وتكلم ابن سيده عن (الطبقة) في الغناء، فقال: (. . . والطبقة حد مختار للصوت، وينبغي أن توضع الألحان فيما شاكلها من الأشعار: فمنها: ما يبكي ويرقق، وهو لما كان من الشعر في الغزل، والتشوق إلى الوطن، والبكاء على الشباب، والمرائي والزهد.

ومنها: ما يطرب، وهو لما كان في نعت الشراب، وذكر الإماء، والمجالس، والصبوح، والداكر.

ومنها: ما يشوق وترتاح له النفس، مثل صفة الأشجار والزهر، والمنتزهات، والصيد، ومنها: ما يسر ويفرح، ويحث على الكرم، وهو لما كان في المديح والفخر، وصفة الملك .

ومنها: ما يشجع، وهو لما كان في الحرب، وذكر الوقائع، والغارات، والأسرى، وغير ذلك وهذا كله يدعى غناء^(١) .

٣. والمجتمع العربي الاسلامي - في احتفاله بالغناء وعنايته به - يقول في الغناء عبارات بليغة، منها: غناؤه كالغنى بعد الفقر، وهو جبر للكسير - غناؤه يبسط أسرة الوجه، ويرفع حجاب الأذن، ويأخذ بمجامع القلب، ويحرك النفوس، ويرقص الرؤوس - فلان طيبب القلوب والأسماع، ومحیی موات الخواطر والطباع، ويطعم الآذان سروراً، ويقدم في القلوب نوراً^(٢) .

(١) انظر: ابن سيده: المخصص ج ١٣ ص ٩ - باب الملاهي والغناء.

(٢) المصدر نفسه.

٤. وإن عمر بن الخطاب كان يقول: الغناء زاد الراكب. وكذلك كان عروة بن الزبير يقول: نعم زاد الراكب الغناء، وكذلك خوات بن جبير الصحابي كان في ركب فيهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن ابن عوف، فغنى من بنيات فؤاده، يعنى من شعره، حيث كان السحر^(١).

وترويح بعض الأنصار فتاة لعائشة، فأهدتها إلى (قباء)، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أهديت عروسك؟

قالت: نعم قال: فأرسلت معها بغناء، فإن الأنصار يحبونه؟ قالت: لا قال: فأدركيها يا زينب: امرأة كانت تغنى بالمدينة^(٢). وعن عائشة أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان له في أيام منى تغنيان وتضربان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد^(٣).

وفي عرس رجل من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة، غنى مالك صاحب المذهب: سليمي أزمعت بينا.... فأين تقولها أينا؟

وقد أورد النويري أن أبا علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي سئل عن السماع، فقال: (ما أدري ما أقول فيه، غير أنى حضرت دار شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي (سنة ٣٧٠ هجرية)، في دعوة عملها لأصحابه،

(١) رسالة في التغني واللحن ص ٨ (مخطوطة مصورة عن مخطوطة بدار الكتب والوثائق القومية في مصر).

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ٣٢٠.

(٣) المصدر نفسه.

حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية، وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعية، وأبو الحسن بن طاهر ابن الحسن شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسن بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين، وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي (شيخ الحنابلة) فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يغني في حادثه يشبه واحداً منهم، ومعهم أبو عبد الله غلام تام وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن، وربما قال شيئاً فقيل له: قل لنا شيئاً فقال لهم، وهم يسمعون: (خصلت أناملها في بطن قرطاس رسالة بعبير لا بأنفاس، أن زر فديتك لي من غير محتشم فأن حبك لي قد شاع في الناس فكان قولي لمن أدى رسالتها قف لي لأمشي على العينين والرأس^(١)).

قال أبو علي: فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا إباحة^(٢).

٥. إن هذا المجتمع في عنايته بالأنعام والموسيقى^(٣)، يجمع علمها، ويسر صعبها، وينظم شاعره هذين البيتين في أنغام الموسيقى:

رست وهوى بوسليك حسيني وحجاز وزنكلا وعراق
والنوى والبرزك مع زيرافكنده والأصبهان والعشاق^(٤).

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة ج ٤ ص ٢٢١.

(٢) النويري: نهاية الإرب ج ٥ ص ١١٧.

(٣) انظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج ٢ ص ٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه.

وكذلك يحددون في دقة الشروط التي يجب على المغنى أن يستوفيها في غنائه، فيقول ابن أبي إسرائيل عن المحسن المصيب من المغنين: هو الذي يشيع الألحان، ويملاً الأنفاس، ويعدل الأوزان، ويفخم الألفاظ، ويعرف الصواب، ويقيم الإعراب، ويستوفي النغم الطوال ويحسن مقاطع النغم القصار ويصيب أجناس الإيقاع، ويختلس مواضع النبرات ويستوفي ما يشاكلها من النقرات^(١).

٦. أما الأوتار، فقد أباح بعض الفقهاء سماعها، (لأنه لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها)^(٢).

وقيل: إن كل ما ورد في تحريمها غير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنه (لا خلاف بين أهل المدينة في إباحتها سماعه) وعمل أهل المدينة له عند المالكية حججته.

وقيل: (ومن الدليل على إباحتها أن إبراهيم بن سعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، مع جلالته وفقهه وثقفه - كان يفتى بحله، وقد ضرب بالعود، ولم تسقط عدالته بفعله عند أهل العلم، فكيف يسقط عدالة المستمع؟!، وكان يبالغ في هذا الأمر أتم مبالغة، وقد أجمعت الأئمة على عدالته، واتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح، وقد علم من مذهبه إباحتها سماع الأوتار والأئمة الذين رووا عنه أهل الحل والعقد في الآفاق إنما سمعوا منه، ورووا عنه بعد اسماعهم غناءه، وعلمهم أنه يبيحه، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل، سمع منه ببغداد، بعد حلفه أنه لا يحدث حديثاً إلا بعد أن يغنى على عود)^(٣).

(١) انظر: النويري: نهاية الإرب ج ٥ ص ١١٧.

(٢) النويري: المرجع السابق ج ٤ ص ١٤٣.

(٣) النويري نهاية الإرب ج ٤ ص ١٩٥ و ١٩٦.

التغني بالقرآن في السنة:

جاء في كتاب التغني بالقرآن لمؤلفه لبيب سعيد ما نصه:

كان النبي ﷺ يتغنى بالقرآن، ويرجع صوته به أحيانا، كما رجع يوم الفتح في قراءته: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح (١) وكانت صفة ترجيعه فيما حكى عبد الله بن مغفل - آ... آ... آ... ثلاث مرات .

وظاهر الحال أن هذا الترجيع كان اختياراً لا اضطراراً، لهز الناقاة له، وكما يقول ابن قيم الجوزية: (كان النبي يرجع في قراءته، فنسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعاً)^(١) .

ويقول عبد الله ابن عمر، في دعوى أن الترجيع كان لهز الناقاة: (. . . وفيه نظر، لأن الظاهر أنه عليه السلام فعل ذلك قصداً، لسرور لحقه في ذلك اليوم، والترجيع ينشأ غالباً من السرور)^(٢) .

ويقول البراء: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في العشاء: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ التين (١)، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه^(٣) .

وعن جابر بن عبد الله، يقول: كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل وترسيل ولم يكن غريباً، ما دام النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تغنى

(١) ابن القيم، زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) البخاري: الصحيح - باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، وأنظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤١ و ٤٤٢ .

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤ .

بالقرآن، أن يقول: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) ^(١).

وقد كان سفيان بن عيينة يقول في تفسير هذا الحديث: (أي من لم يستغن بالقرآن)، فقال الشافعي: (ليس هو هكذا، لو كان هكذا لقال: يتغانا، إنما هو يتحزن ويترنم به، ويقرؤه حدرًا وتحزينًا) ^(٢).

وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اللغوي المحدث يرى مثل رأى سفيان ابن عيينة، وكان يحتج بيت الأعشى: (وكنت امرأ زنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغني).

وكان يحتج أيضا بقول عبيد الله بن معاوية ضمن أبيات: كلانا غنى عن أخيه حياته.... ونحن إذا متنا أشد تغانيا ^(٣). وكذلك احتج بأقوال أخرى منسوبة إلى ابن مسعود، وإلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال أبو عبيد: ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك، إذ كان من لم يرجع القرآن فليس منه عليه السلام ^(٤).

وقد ناقش السيد المرتضى - في أماليه - ما قيل في تفسير ذلك الحديث، وانتهى إلى أن التغني هنا ليس التحنين والترجيع، وإنما هو على هذا الوجه: من لم يقيم على القرآن فلا يتجاوز به إلى غيره، ولا يتعداه إلى سواه، ويتخذ مغنى ومنزلاً ومقاماً فليس

(١) أنظر السبكي: طبقات الشافعية، وابن سعد الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٠.

(٢) ديوان الأعشى: ص ٢٢.

(٣) الكامل للمبرد: بشرح المرصفي ج ٣ ص ١٣.

(٤) أنظر: الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، أو غرر الفوائد ودرر القلائد ص ٣١ و ٣٢.

منا^(١). وهذا ما سنناقشه في المطلب الثاني ان شاء الله التغني في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكذلك ناقش ابن قيم الجوزية هذا التفسير، فروى أن ابن بطال قال: . . . وقالت طائفة: التغني بالقرآن هو تحسين الصوت، والترجيع بقراءته، والتغني بما شاء من الأصوات واللحون، وأن هذا قول بن المبارك والنصر ابن شميل^(٢). وأورد ابن القيم أن عمر بن الخطاب كان يقول لأبي موسى الأشعري: ذكّرنا ربنا فيقرأ أبو موسى ويتلاحن^(٣).

وينقل ابن القيم قول ابن جرير: الدليل على أن معنى الحديث تحسين الصوت والغناء المعقول الذي هو تخزين القارئ سامع قراءته، كما أن الغناء، المعقول الذي يطرب سامعه^(٤).

وقال الطبري: (وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا، قال: ولو كان كما قال ابن عيينة يعني يستغنى به عن غيره لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى^(٥)). والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع. قال الشاعر: تغن بالشعر إذا ما كنت قائله... إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وأما ادعاء الزاعم أن (تغنيت) بمعنى (استغنيت) فاش في كلام العرب، فلم

(١) أنظر الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، أو غرر الفوائد ودرر القلائد ص ٣١ و ٣٢.

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ١٩١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

نعلم أحدا قال به من أهل العلم بكلام العرب ... الخ^(١) .

ويقول الطبري كذلك: فإن وجه بوجه التغني بالقرآن إلى هذا المعنى على بعده من مفهوم كلام العرب كانت المصيبة في خطئه في ذلك أعظم، لأنه يوجب من تأويله أن يكون الله تعالى ذكره لم يأذن لنبيه أن يستغنى بالقرآن، وإنما أذن له أن يظهر من نفسه لنفسه خلاف ما هو به من الحال، وهذا لا يخفى فساد^(٢) .
وقال: إن الاستغناء عن الناس بالقرآن من المحال أن يوصف أحد أنه يؤذن له فيه أو لا يؤذن، إلا أن يكون الأذن عند ابن عيينة بمعنى الأذن الذي هو اطلاق وإباحة، وإن كان كذلك فهو غلط من وجهين:

(أحدهما) من اللغة و(الثاني) من إحالة المعنى عن وجهه ... الخ^(٣) .

ويقول النبي ﷺ: (تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه ... الخ^(٤)) (لله أشد أذنا إلى

الرجل الحسن للصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته)^(٥) .

ويقول النبي ﷺ في أبي موسى الأشعري: (لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك

البارحة ! لقد أوتيت زممارا من مزامير داود)، ورد أبو موسى: (لو علمت أنك

(١) زاد المعاد ج ١ ص ١٩١ .

(٢) ابن القيم الجوزية: زاد المعاد، ص ١٩١ .

(٣) رواه البخاري في باب قوله ﷺ: (الماهر بالقرآن . . .)، ولفظه: (لم يأذن الله) وأنظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ج ١٣ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ و مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح ج ٢ ص ١٩٢ و سنن أبي داود، كتاب ٨ باب ٢٠٠ و سنن النسائي، كتاب ١١ باب ٨٣ و سنن الدارمي، كتاب ٢ باب ١٧١، وكتاب ٢٣ باب ٣٣ .

(٤) رواه موسى بن أبي رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر، وأنظر: ابن القيم زاد المعاد ج ١ ص ١٩١ .

(٥) المصدر نفسه .

تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً^(١).

وفي ترجمة أبي موسى هذا، يقول ابن حجر العسقلاني: (. . . أحد قضاة الأمة الأربعة، وجامع العلم فما أوسعها ! المفرد بحسن الصوت، إذا قرأ كان مزمار من مزامير آل داود معه)^(٢).

وفي (تذكرة الحفاظ)، قال عنه الذهبي: (. . . إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن)^(٣).

ونقل عن ابن الهندي: ما سمعت طنبوراً^(٤) ولا صنجاً^(٥) ولا مزماراً^(٦) أحسن من صوت أبي موسى الأشعري، كان يصل بنا فقراً البقرة^(٧).

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وأحمد، وأنظر حواشي الجامع الصحيح لمسلم ج ٢ ص ١٩٢ و١٩٣ (ط . استامبول).

(٢) التغني بالقرآن: لبيب سعيد الهيئة العامة للإرشاد جمهورية مصر العربية ١٩٧٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٢٢ وانظر: ابن قدامة المغنى ج ٩ ص ١٧٩ (ط . المنار سنة ١٣٦٧ هـ) وابن الأمير: أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٥ و٢٤٦ وابن حجر: الإصابة ج ٣ ص ٥٧، وقال: رجاله ثقات.

(٤) الطنبور: وهي من آلات الطرب .

(٥) الصنج: وهو صفيحة مدورة من النحاس أو الصفر تضرب بالأخرى مثلها للطرب.

(٦) المزمار: قصبة مثقبة تستخدم في الغناء.

(٧) ج ١ ص ٢٢ مط دار المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٣٣ هـ . وأنظر: الكتاني: التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٤٢٥ و٤٢٦ .

ويقول النبي ﷺ: (زينوا القرآن بأصواتكم)^(١) ويقول: (لكل شئ حلية، وإن حلية القرآن الصوت الحسن)^(٢).

وعن عائشة، قالت: استبطنني رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ما حسبك؟

قلت: إن في المسجد لأحسن من سمعت صوته بالقرآن فأخذ رداءه وخرج يسمعه، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال: (الحمد لله الذي جعل في أمي مثلك)^(٣).

وعن قتادة: ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه، حسن الصوت، حتى بعث نبيكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت... الخ^(٤).

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، ورواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وزاد: .. فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) وانظر: على القاري: مرقاة المفاتيح ج ٢ ص ٦١٤ والحاكم النيسابوري: المستدرک ج ١ ص ٥٧١ والطيالسي مسند الطيالسي حديث ٧٣٨.

(٢) عن انس بن مالك، وأورده عبد الرزاق في (الجامع)، والمقدس في (المختار) وانظر: ابن رجب: الدليل على طبقات الحنابلة ج ١ ص ٤١ (بتحقيق حامد الفقي) سنة ١٩٥٣ والمناوي: فيض القدير ج ٥ ص ٢٨٥.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٢٢ وانظر: ابن قدامة المغنى ج ٩ ص ١٧٩ (ط . المنار سنة ١٣٦٧ هـ) وابن الأمير: أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٥ و٢٤٦ وابن حجر: الإصابة ج ٣ ص ٥٧، وقال: رجاله ثقات .

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٨ (ط . لندن سنة ١٣٢١).

التغني بالقرآن عند الصحابة والتابعين وتابعيهم^(١) :

وقد ذكرت كتب السنة، وكتب التراجم الإسلامية أن من الصحابة من كانوا يحسنون الصوت بالقرآن:

١. كان أسيد بن حضير من أحسن الناس صوتاً بالقرآن^(٢) .

٢. وعقبة بن عامر، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن^(٣) .

٣. وعلقمة بن قيس النخعي المتوفى سنة ٦٢ هـ والذي سمع من عليّ، وعمر، وأبي الدرداء، وعائشة كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، (وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول: لو رآك رسول الله ﷺ لَسُرَّ بِكَ^(٤) .

٤. وعمر بن عبد العزيز كان حسن الصوت بالقرآن، فخرج ليلة، وجهر بصوته، فاستمع له الناس، فقال سعيد ابن المسيب: فتنت الناس! فدخل^(٥) .

٥. والشافعي صاحب المذهب، والمتوفى سنة ٢٠٤ هـ (كان يستفتح القرآن، فيتساقط الناس، ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة^(٦) .

(١) أنظر: الذهبي: طبقات القراء ج ١ ص ٩٦ (بتحقيق محمد سيد جاد الحق).

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة ج ١ ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابن الجوزي: غاية النهاية ج ١ ص ٥١٦ .

(٦) أنظر: ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ - الجزء من سنة ٢٠٤ هـ إلى ٢٥٠ هـ ص ٥ - مخطوطة مصورة بدار الكتب والوثائق القومية رقمها ١٤٩٥ .

٦. وحزمة أحد أئمة القراءات المتوفى سنة ١٥٦ هـ، حدث بعض جيرانه أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن ترتيلاً^(١).
٧. ويحيى بن وثاب المتوفى سنة ١٠٣ هـ، كان - فيما روى الأعمش - من أحسن الناس قراءة، وكان إذا دخل المسجد يقرأ بهدوء كأن ليس في المسجد أحد^(٢).
٨. وابن اللبان الذي وصف بأنه (أحد أوعية العلم وأهل الدين والفضل)، (كان من أحسن الناس تلاوة للقرآن)^(٣).
٩. وأبو بكر الضير الواعظ المتوفى سنة ٣١٤ هـ (كان من حفاظ القرآن، حسن الصوت، وكان يقعد في المجامع، ويقرأ بالألحان ويقع كلامه في القلوب)^(٤).

(١) أنظر: الذهبي: طبقات القراء ج ١ ص ٩٦ (بتحقيق محمد سيد جاد الحق).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٠٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٢٠٤.

التغني بالقرآن في الفقه والإجماع عند الصحابة والتابعين:

روي أن ابن عباس، وابن مسعود أجازا القراءة بالألحان، وروى عن ابن جريح أنه قال: سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء، فقال: وما بأس ذلك يا بن أخي^(١)؟

وروي أن أبا حنيفة أباحها وجماعة، وأنه هو وأصحابه كانوا يستمعون إليها وأن الشافعي رئي مع بعض أصحابه يستمعون القراءة بالألحان^(٢).

وروي أن إجازة القراءة بالألحان هي اختيار ابن جرير الطبري^(٣) وعبيد الله بن أبي بكرة، وكنيته أبو حاتم من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، والذي ولى قضاء البصرة، وأوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك، فسأله أن يولى الحجاج خراسان وكسجستان وهذا القاضي السياسي هو أول من قرأ القرآن بالألحان، وكانت قراءته حزناً، أي فيها رقة صوت^(٤).

كما ان ابن قدامة يجعل القراءة من غير تلحين مقابل القراءة بتحسين الصوت، ولا يرى بأساً بقراءة القرآن من غير تلحين ويقول: (. . . ومن حسن صوته فهو أفضل، فإن النبي ﷺ قال: (زينوا أصواتكم بالقرآن)^(٥).

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٦ ص ٩، أنظر: ابن القيم: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥، ساجلي زاده: رسالة في التغني واللحن ص ٢٩.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥.

(٤) أنظر: ابن قتيبة: المعارف ص ٥٢٣ وأنظر تفاصيل من تاريخ قراءته القرآن بالألحان في: لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقران الكريم ص ٣٢٢ وما بعدها.

(٥) المغنى ابن قدامة ج ٩ ص ١٧٩ وما بعدها.

ونقل عن التوربشتي - وهو من المتأخرين:

يقول: إن التطريب بقراءة القرآن أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاسماع والاصغاء إليه، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء، وبمنزلة الأفاوية - الأفاوية^(١). والطيب الذي يجعل في الطعام، لتكون الطبيعة أدعى له قبولا، وبمنزلة الطيب والتحلي وتجميل المرأة لبعلمها ليكون أدعى إلى مقاصد النكاح^(٢).

ويقول أيضا: (انه لا بد للنفس من طرب، واشتياق إلى الغناء، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن، كما عوضت عن كل محرّم ومكروه بما هو خير لها منه، كما عوضت عن الاستقسام بالأزلام بالاستخارة التي هي محض التوحيد والتوكل، وعن السفاح بالنكاح، وعن القمار بالمرأنة)^(٣).

ويقول أبو سعيد الأعرابي في تفسير حديث: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) كانت العرب تولع بالغناء والنشيد في أكثر أفعالها، فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون هجيرا هم مكان الغناء، فقال: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)^(٤).

وفي المرويات الإسلامية عن ابن جريح، عن عطاء ابن عبيد بن عمير، قال:

(١) الأفاوية: التوابل وأنواع الطيب.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١١.

(٣) أنظر: ابن قتيبة: المعارف ص ٥٢٣ وأنظر تفاصيل من تاريخ قراءته القرآن بالألحان في: لبيب السعيد: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ص ٣٢٢ وما بعدها.

(٤) أنظر: ابن القيم: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٥.

كانت لداود نبي الله ﷺ معزفة .

وَكُلُّ لَعِبٍ: عَزْفٌ، وَالْمَعَازِفُ: الْمَلَاهِي، الْوَاحِدُ عَزْفٌ وَمَعْرِفَةٌ. وَ الْمِعْزَفُ: اسْمٌ خَاصٌّ لِضَرْبٍ مِنَ الطَّنَابِيرِ تَتَّخِذُهُ أَهْلُ الْيَمَنِ^(١). يتغنى عليها: ييكي ويبيكي^(٢) .

قال ابن عباس: إن داود كان يقرأ الزبور لسبعين لحنا تكون فيهن ويقرأ قراءة يطرب منها الجموع^(٣)، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ الإسراء (٥٥) قالوا: (فان أخذ في قراءة الزبور اجتمع إليه الإنس والجن والطيور والوحش، لحسن صوته)^(٤)، وهذا مما يؤيد غالباً أن الترنم مطلوب عند قراءة الكتب الدينية عامة .

منكري الغناء والتطريب من الصحابة والتابعين:

جاء في كتاب التغني بالقرآن لمؤلفه لبيب سعيد مانصه:

هناك في التاريخ الاسلامي أخبار متناثرة تفيد أن بعض المسلمين رفضوا منذ قديم الزمان قراءة القرآن بالألحان ومما يحتج به هؤلاء:

١. حديث: (إقروا القرآن بلحون العرب، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر، فإنه سيجيء أقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم)^(٥) .

(١) المحيط في اللغة، ج ١، ص: ٣٩٠.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١١ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أنظر: مالك بن أنس: الموطأ - كتاب ج ١ حديث ١٠ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص

٢. وقد أنكر التطريب بالقرآن أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، فقد جاء قارئ فقرأ وطرب، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقه سوداء، فقال له: يا هذا! هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقه عن وجهه^(١).

٣. وتمنى الصحابي أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه سنة عد منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير^(٢).

٤. وفي سنن الدارمي: أنهم كانوا يرون هذه الألحان في القراءة محدثة، ومعلوم أنه في الإسلام: شر الأمور محدثاها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(٣).

٥. ومن كره القراءة بالألحان من التابعين: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، والقاسم ابن محمد، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي^(٤).

٦. ومن كرهها أيضا من تابعي التابعين: سفيان بن عيينة ومالك بن أنس^(٥).

٧. ويذكر ابن سحنون في واجبات المعلم تلقاء تلاميذه انه لا يرى أن

٧١ علي بن سلطان القادي: مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح ج ٢ ص ٦١٨ السيوطي: الاتقان ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢ المسأوى: جمال القراء ص ٦٨ (مخطوطة رقم ٢٩ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة).

(١) ابن الحاج: المدخل ج ١ ص ٧٤ و ٧٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى - ج ٢ ص ٤٧٤.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

يعلمهم ألحان القرآن، لأن مالكا قال: لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان ويقول ابن سحنون: (ولا أرى أن يعلمهم التحجير^(١))، لأن ذلك داعية إلى الغناء، وهو مكروه، وأن ينهى عن ذلك بأشد النهي)، ويقول: (لقد سئل مالك عن هذه المجالس التي يجتمع فيها للقراءة . فقال: بدعة: وأرى للوالي أن ينهاهم عن ذلك ويحسن أديهم)^(٢) .

٨. ويقول الزيلعي: (لا يحل الترجيع في قراءته، ولا التطريب فيه، ولا يحل الاستماع إليه، لأن فيه تشبهاً بفعل الفسقة في حال فسقهم، وهو التغني؟)^(٣)
 ٩. وذكر الربيع الجيزي عن الشافعي أن قراءة القرآن بالألحان مكروهة^(٤) .
 ١٠. وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القراءة بالألحان، فكرهها، وقال: لا، إلا أن يكون طبع الرجل^(٥) .

١١. وقد ختم الماوردي كتاب: (أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك) بتحذير بناه على حديث نبوي هو - كما يقول الماوردي - (أوعظ نذير وأبلغ تخويف)^(٦) .

(١) «التحجير» بمعنى تزيين الكلام وتحسينه.

(٢) آداب المعلمين - وما يجب على المعلم من لزوم الصبيان.

(٣) أي التغني بغزلياتهم بالألحان المخترعة، وانظر: ساجلي زاده ص ٣١ .

(٤) كشف اصطلاحات الفنون ج ٢ ص ٩٠٠ .

(٥) كتاب العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٧٣ .

(٦) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٨، كتاب (أوعظ نذير وأبلغ تخويف) ص ٥٨ (ط) ١٩٢٩ بنفقة مكتبة الخانجي) .

وهو حديث رواه عبد الله بن عبيد، عن عمير الليثي، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه تحديد لأشراط الساعة، وإنذار بتوقع نزول البلاء بالأمة، إذا وقع الناس في منكرات كبيرة، كإمامة الصلاة، وإضاعة الأمانة، والاستخفاف بالدعاء، وجاء بين هذه الأشراط أن يتخذ الناس القرآن مزامير .

١٢. والحارث بن مسكين الذي تولى قضاء قضاة مصري سنة ٢٣٧ هـ كان يضرب الذين يقرؤون بالألحان^(١)

١٣. وابن بطة العكبري المتوفى بالعراق سنة ٣٨٧ هـ جرية يقول أن (من البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان وتشبيهها بالغناء)^(٢)

١٤. والنووي من أعلام الشافعية، والمتوفى سنة ٦٧٦ هـ يصف تلك القراءة بأنها (مصيبة ابتلى بها بعض الجهلة «والطغام»^(٣))، الغشمة الذين يقرؤون على الجنائز وفي بعض المحافل^(٤)

ويردد النووي قول الماوردي: (أن هذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها، كل قادر على إزالتها أو النهي عنها فهو آثم إذا لم يفعل ذلك)^(٥) .

ثم يقول النووي عن محاربتة لهذه البدعة: (وقد بذلت فيها بعض قدرتي، وأرجو

(١) أنظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٢) أنظر: كتاب: الشرح والإبانة على أصول السنة والأمانة ص ٨٩ .

(٣) الطغام: الأوغاد من الناس والأراذل والذين لا منزلة لهم بين الناس .

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٥٦ .

(٥) المصدر نفسه .

من الله الكريم أن يوفق لإزالتها من هو أهل لذلك، وأن يجعله في عاقبة^(١)

١٥. وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ يرى (أن صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه، ومن ثم لا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعترف في القرآن)^(٢).

١٦. والبزاري يقول في إطلاق: قراءة القرآن بالألحان معصية، والتالي والسامع آثمان^(٣).

١٧. بل إنه - في معرض كراهية تشبيه قارئ القرآن بأصحاب الغناء التلحيني حكى عن ظهير الدين المرغباني أنه قال: من قال لمقرئ زماننا: أحسنت، عند قراءته، يكفر^(٤).

١٨. والذين كرهوا قراءة القرآن بالألحان جعلوا منع هذه القراءة واجباً من واجبات المحتسب ويحدد الشيزري قواعد الحسبة على المؤذنين والأئمة والقراء، فيذكر منها أن (يأمر المحتسب أهل القرآن بقراءته مرتلاً، كما أمر الله سبحانه وتعالى، وينهاهم عن تلحين القرآن وقراءته بالأصوات اللحنة)^(٥)

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٥٦.

(٢) المقدمة - فصل في صناعة الغناء ج ٣ ص ٩٦٨ (بتحقيق على عبد الواحد وافي).

(٣) ساجقلى زاده ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٠٨، الحسبة: الأجر والثواب.

أسلوب التغني الذي ينكره المسلمون:

١. إن أغلب الذين كرهوا أو حرموا التغني بالقرآن لم ينفوا ولم يعارضوا حقيقة ملموسة منذ قديم الزمان هي أن المسلمين يستحلون التغني بالقرآن والتطريب به، وأن النفوس بفطرتها تقبل هذا أما الذي كرهه السلف وأنكروه على من قرأ به فهو، على الحقيقة، ما يعلم بأنواع الألحان البسيطة والمركبة، على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة، ولا يحصل إلا بالتعليم والتكليف^(١).

٢. والقراء في مجموعهم، وعلى مدى تاريخهم، يلتزمون بقواعد الأداء التجويدي، حين يتنغمون بآي القرآن والذي يترخص منهم في هذا الالتزام ولو قليلاً يسقط قدره بين القراء والمستمعين على السواء والنكير في هذا كان وما برح شديداً وفي تراجم القراء إشارات تقدير إلى كثير منهم، لأنهم يجمعون إلى الطرب تجويداً حسناً وأداءً دقيقاً.

٣. ويقول القرطبي في شرح مقدمة الجزرية:

(المراد بلحون العرب القراءة بالطبع وبالأصوات السليقة، وبلحون أهل الفسق الأنغام المستفاد من الموسيقى والامر محمول على الندب، والنهي محمول على الكراهية إن حصل مع المنهي عنه المحافظة على صحة ألفاظ الحروف، وإلا فمحمول على التحريم)^(٢).

(١) ابن القيم: زاد العماد ج ١ ص ١٢٧ و ١٢٨.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون ج ٢ ص ٩٠٠٢، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٦.

ويقول ابن حجر في (شرح الشمائل):

(قد كثر الخلاف في التطريب والتغني في القرآن، والحق أن ما كان منه طبيعياً وسجياً (نسبة لسجية) كان محموداً، وما كان منه بالتكلف والألحان المخترعة فهذا هو الذي كرهه السلف^(١) .

والتهانوي - في حديثه عن الترنم - يقول: (غير أن المترنم بالقرآن إذا مد في غير محل المد، أو زاد عند المد ما لا تجيزه العربية، وقع في بدعة آثمة هي ما يسميه المتأخرون - اصطلاحاً - التطريب)^(٢) .

٤ . ويظهر أن هذه البدعة: بدعة التمطيط الذي يخرج القرآن إلى الغناء تنفسي أحياناً بين القراء فرادى، وبينهم مجتمعين، فتثير أصحاب الغيرة، وتؤيسهم أحياناً من صلاح الحال^(٣) .

غنائيات القراء:

١ . إن كل قراءة قرآنية ولو كانت مرسلة (ضعيفة السند)، لا بد أن تكون مجودة، و (من لم يجود القرآن آثم) كما تقول الجزرية، وقد صح - كما يقول برهان الدين القلقيلي، في شرحه على ذلك المتن: (إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمى قارئ القرآن بغير تجويد فاسقاً) قال برهان الدين: (وهو مذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه لأنه قال: إن صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا

(١) نقلاً عن ساجقلي زاده ص ٥ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٥٦ - الترجمة ٦٦٣ .

بقولي عرض الحائط) (١). وفي الحديث: (ما أذن الله لشئ أذنه لنبي حسن الترنم بالقرآن)، وفي رواية: حسن الصوت يترنم بالقرآن والترنم: التطريب والتغني وتحسين الصوت بالتلاوة .

٢. والملحوظ الواقعي أن كل أوجه القراءة، ومنها الترتيل الذي أوردنا عنه أنفاً بعض التفاصيل، والذي هو أفضل مراتب القراءة، والمأمور به أمراً مؤكداً في القرآن نفسه: ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ المزمّل (٤) لا يخلو عادة من ترنيم (٢). والقرآن بطبيعته وأسلوبه ذو سطوة قاهرة على العقول والنفوس، وهي سطوة لا تحتاج إلى موسيقى خارجية تقويها (٣).

٣. ومن الناحية الواقعية، يأخذ قراء المحافل بفن المغنين والملحنين، ويقلدون، ويستعملون مصطلحاتهم .

يقول عبد العزيز البشري عن قارئ معروف هو الشيخ حنفي أبو العلا إنه يقرأ بفن عبده الحمولي، وكان يقلده في جميع تناغمه (٤).

ويقول البشري، مستعملاً عبارات ملحني الغناء: (الذوق المصري لا يستريح إلا إذا انتهت النغمة بتكريس الصوت، والزر على الحلق، أو ما يدعوه أصحاب الغناء (بالعفق) (٥).

وكان الغنيمي التفتازاني يقول إن أحمد ندا القارئ المشهور (كان على عرق أصل عظيم من العلم بفن الموسيقى) (٦).

(١) أنظر: محمد بكر نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١٠.

(٢) أنظر: ابن الجزري: غاية النهاية ص ٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ (٣) غاية النهاية ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥.

(٣) أنظر: الزركشي: البرهان ج ١ ص ٦٨ و ٦٩.

(٤) أنظر: ابن الجزري: غاية النهاية ص ٢ ص ٢٢٣ و ٢٢٤.

(٥) كثرة الضراب (النكاح).

(٦) أنظر المقدس المختار ج ٢ ص ٣٤ - ٣٧.

ويتحدث عبد الوهاب حموده عن الموسيقى الوصفية في القرآن، وهي التي تصور المعنى، وتدلل على الفكرة من طريق إيجاء النغم وتشابه الصوت الانسجام الذي يكون بين الموسيقى والمعنى الذي توحى به، فيتكلم عن قوله تعالى: ﴿فَكَبُكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ الشعراء (٩٤).

فيقول: إن هذا الفعل يتكون موسيقياً من نقطتين متماثلين متكررتين في سرعة وتوال، وفي لغة الموسيقى يسمى هذا: (٢ نوار)، ليكون ذلك التمثيل أدل على أن يتخيل المعنى، وأحكم في تصور الحالة، وأميز في تأثر النفس بها^(١).

ويتحدث أيضاً عن فواتح السور من حروف المعجم، فيقول: (. . . فإن بعض العلماء يرى فيها أنهار موز صوتية وإشارات موسيقية، لأن القرآن نزل ليرتل ويتلى، وقد كانت الموسيقى القديمة بسيطة يشار إلى ألحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة تقابل في عصرنا الحاضر ما يعرف في (النوتة) بمفتاح (صول)^(٢).

وقد نقل أن القارئ الشهير محمد رفعت يستمع إلى تسجيلات عباقرة الفن الموسيقي الرفيع، (وعندما مات خلف ثروة كبيرة من أسطوانات باخ، وموزارت، وبيتهوفن، ولست، وعدة أسطوانات أخرى للعازف الكبير باجنيني)^(٣).

والقارئ يوسف المنيلوي المتوفى سنة ١٩١١م (كان يلحن ويغنى ويقراً القرآن)^(٤).

(١) أنظر: عبد الوهاب حمودة: موسيقا القرآن - بحث في مجلة لواء الاسلام جمادى الاخر ١٣٦٧هـ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٢٩.

(٤) المصدر نفسه.

وفي أزمئة سابقة أيضا، كان لبعض القراء علاقة موصلة بالألحان والغناء: فالقارئ البغدادي محمد بن فضالة المتوفى سنة (٣٤٨ هـ) هو (صاحب الألحان والصوت الطيب)^(١).

والفقيه المقرئ عبد الرحمن بن النفيس الذي يعرف بالأعز البغدادي (كان في ابتداء أمره يغنى، وله صوت، حسن، ثم تاب، وحسنت توبته)^(٢).

وعبد الله المارداني القاهري المحاسب، والذي حفظ القرآن، وكان له صوت شجي مطرب (نشأ مع قراء الجوق، وكان أبوه ممن يدق الطبلخانة)^(٣)

ومما يشير إلى أن الغناء كان يثقل على الضمائر، ويدعى بالتوبة منه أن مغنيا هو فيصل بن الخضر أبو الحارث الأولاسي المتوفى سنة ٢٩٧ هـ كان يغني في صباه، فمر بمريض على قارعة الطريق، فقال له: ما تشتهي؟ قال: الرمان فجاء به، فقال له: تاب الله عليك! فما أمسى حتى تغير عما كان عليه^(٤).

٤. وكما أن القراء يشتركون مع بعض المغنين في بعض العادات (فالمغني الشعبي حين يغني والقارئ حين يتلو القرآن، كلاهما يضع يديه غالبا على خده، وهذه عادة وردت لها عشرات الرسوم في الآثار المصرية القديمة) والمشاهد أن لأغلب القراء - عند القراءة - حركات واهتزازات مثل التي للمغنين^(٥)

(١) محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٢٩.

(٢) أنظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ص ٢٩١ (طاستانبول ١٩٤٩) وأبن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٣٩٢.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع ج ٥ ص ١٩ - الترجمة ٦٥.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٩٣.

(٥) محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة وحياتنا الحالية.

وفي الرد على الداعين إلى استعمال الآلات الموسيقية مع قراءة القرآن، نذكر أنه حتى في الكنيسة المسيحية التي يعد الإنشاد الموسيقى من شعائرها، والتي يتعدد فيها المرتلون، وهم الأرشيدياكون، أي رئيس الشماسة الذي يساعد الكهنة في الخدمة، ومنها إلقاء الترانيم والدياكون أو الشماس والأبو ذياكون وهو معاونه والأغنستس، أو القارئ، وعمله: تلاوة فصول الكنيسة المسيحية، وهذه أهمية الإنشاد الموسيقى فيها تقرر أن (الذين يرتلون على الذبح لا يرتلون بلذة بل بحكمة)^(١).

ويقول أحد رجال الكنيسة المصرية: (ما زالت إلى اليوم موسيقى كنائس كثيرة منها القبطية واليونانية والسريانية صوتية بحتة، وتوقيعها على الآلات الوترية يعطى أداء هزيلا مبتورا، لا يصور اللحن تصويرا صحيحا أو حقيقيا، كما يصوره الصوت، وتوقيعها على الأرغن أو البيانو يستلزم إضافة الأرموني إليها، وهي بطبيعتها لا تقبل بتاتا إضافة الأرموني وإذا حاولنا فلا بد من تمزيق أوصالها وهذا معناه القضاء على طقسنا الكنسي والكنيسة اليونانية لا تستعمل آلات موسيقية قط، ولا حتى الدف والمثلث)^(٢) هذا مع وجود بُعد ما بين طبيعة النص القرآني الذي هو القمة في البلاغة، والذي هو معجز بيقين، وبين طبيعة الترانيم المسيحية التي هي من إنشاء أناس عاديين، والتي تحتاج فعلا إلى وسائل تقويها عند الإنشاد.

(١) أنظر: الصفوي العسال: المجموع ص ١٣٤ دمرقس داود: تفسير قداس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ص ١٩ و ٢٠.

(٢) راغب مفتاح: الألحان مقال بمجلة مدارس الاحدع ابريل ١٩٦٠ ص ٢٩ و ٣٠

٥. وعندنا أنه ليس إخضاع قراءة القرآن لقواعد الموسيقى هو الذي يتم به ايصاله إلى أعماق القلوب والأفهام، وإنما الذي يكفل هذا هو أن يكون القارئ - فوق حسن صوته والتزامه قواعد التجويد والأداء - عالماً بالقراءات، والتفسير، والسنة، والفقه، والتاريخ، والقصص، والبلاغة، والنحو، والاجتماع، والنفس، وعجيب أن لا تنبعث دعوة واحدة إلى تعليم القراء هذه العلوم، بينما الدعوات - بسوء نية غالباً وبحسن نية أحياناً - إلى الإفادة - في قراءة القرآن - من الفنون الموسيقية، مع أن موسيقى القرآن، كما قلنا قبلاً - نابعة منه، ولا حاجة بالمسلمين إلى استجلابها إليه

وإذا كان التلحين الموسيقي ينفع في بعض مشتملات القرآن كالوعد والوعيد، ووصف الجنة والنار، والبيان عن الرغبة والرغبة... الخ، فكيف تفيد الموسيقى في إبراز المعاني في بعض آيات الأحكام من مثل ما يتصل بالنكاح، والإيلاء، والظهار واللعان، والخلع، والطلاق، والعدة، والاستبراء، والنفقة، والرضاعة، والوكالة، والإجارة، والمواريث وأحكام الصيد... الخ؟

٦. ومن الحقائق الواقعية التي لا نناقشها هنا محبذين أو ناقدين، وإنما نسجلها أن الناس فوق تأثرهم بمعاني القرآن، يتأثرون بالنغم،

فأحمد ندا مثلاً الذي كان (لا يأخذ في قراءته سمته واحداً، بل لا يبرح يترجع بين فنون النغم) كان (يقيم الناس ويقعدهم، ويطويهم وينشرهم، ويذيقهم المهول الرائع من الطرب والانبهار)^(١).

(١) راغب مفتاح: الألحان مقال بمجلة مدارس الأحد ابريل ١٩٦٠ ص ٢٩ و ٣٠.

كما إن القراء مثل المغنين يسرهم أن يتلقوا عبارات الثناء والإعجاب، وبعضهم في المحافل يتحرى المعجبين، وقد يدبر هو نفسه لوجودهم، ويظهر المعجبون الطرب، فيسمع لهم ضجيج حتى في المساجد وفي المآتم وقد ذكروا أن يوسف المنيلأوى الذي ورد له ذكر في فصل سابق، كان يسأل المستمعين عن رأيهم في قراءته التماسا لصيحات الإعجاب . وقيل في تعليل هذا إنه (كان يعاني عقداً نفسية ربما كانت راجعة إلى ضالّة شأنه في الحياة) ^(١) .

٧. الأدب الواجب في سماع القرآن:

إن سلوك كثير من هؤلاء المعجبين منافٍ للأدب الواجب للقرآن، ولعل صاحب (تفسير المنار) ^(٢) أن يكون قد وصفهم وصفا دقيقاً، عند تفسيره للآية الكريمة ^(٣): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَ لَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء (٤٦).

يقول، في شأن من يقابلون هذا التأديب القرآني باللغظ والضجيج: (إنهم يلغطون في مجلس القرآن فلا يستمعون ولا ينصتون، ومن أنصت واستمع فإنما ينصت طرباً بالصوت، واستلذاذا بتوقيع نغمات القارئ (وإنهم ليقولون في استحسان ذلك واستجادته ما يقولون في مجالس الغناء، ويهتزون للتلاوة، ويصوتون بأصوات مخصوصة، كما يفعلون عند سماع الغناء بلا فرق، ولا يلتفتون إلى شيء من معانيه إلا ما يرونه مدعاة لسرورهم في مثل قصة يوسف عليه

(١) محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٤٤ لحنون العرب.

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢.

(٣) محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٤٤ لحنون العرب.

السلام، مع الغفلة فيها من العبرة وإعلاء شأن الفضيلة، ولا سيما العفة والأمانة) ثم يقول: (أليس هذا أقرب إلى الاستهانة بالقرآن منه بالأدب اللائق الذي ترشد إليه هذه الآية الكريمة وأمثالها، وتتوعد على تركه بجعله مجاوراً للكفر الذي يسوق صاحبه إلى العذاب الأليم؟ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ المؤمنون (٦٨-٦٩) (١)(٢).

وهناك قصة من حي المذبح بالقاهرة تشهد بإسراف بعض المعاصرين في مجافاة الأدب الواجب للقرآن، ومتابعتهم للنغم لا للمعاني القرآنية، ومؤدى هذه القصة أن طائفتين من المستمعين إلى القارئ الشيخ محمد القهاوي، في أحد المآتم اقتتلاً، لأن إحداهما عابت صوت القارئ، فأثر ذلك الأخرى: فمات أربعة، ونقلت عربات الإسعاف أكثر من عشرة إلى المستشفيات (٢).

والجدير بالذكر أن المراد بتحسين الصوت، وترجيعة والتغني به في القرآن هو تجويد اللفظ، وتقويم الحروف، وحسن الأداء، وتلطيف النطق بالحرف على حال صيغته وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف، ولا تمطيط له كما يفعله أهل الفسق وأرباب الألحان الموسيقية، فإن ذلك حرام يفسق به القارئ، ويأثم المستمع بإجماع المحققين من الفريقين، ولا رخصة فيه بوجه، كما نصّ عليه قوله عليه السلام: «وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر» الحديث المتقدم ذكره، ومن ظنّ، أو اعتقد غير ذلك فليتهم فهمه (٣).

(١) تفسير المنار: ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢.

(٢) أنظر: محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٢٦ و ٢٧، الإتقان في علوم القرآن: ج ١، ص ١٠٧.

(٣) التغني بالقرآن (بحث فقهي تاريخي) بقلم لبيب السعيد الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠.

المطلب الثاني: الرد على شبهة التغني بالقرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام (١):

بعد أن بينا في المطلب السابق آراء العامة في مدرسة الصحابة والتابعين في موضوع التطريب والتغني بالقرآن واستدلالاتهم عليها، نشير هنا إلى الأدلة الواردة عن النبي وأهل البيت عليهم السلام وكذلك عن بعض مصادر العامة في هذا المجال ونترك للقارئ الكريم الحكم عليها.

المقامات القرآنية وحدود مشروعيته في الروايات:

الغناء في اللغة: والغناء، بالفتح: النَّفْعُ. والغناء، بفتح الغين ممدودٌ: الإِجْزَاءُ والكفاية. يقال: رَجُلٌ مُغْنٍ أَي مُجْزِيٌّ كَافٍ؛ قال ابن بري: الغناء مصدرٌ أَعْنَى عَنْكَ أَي كَفَاكَ عَلَى حَذْفِ الزَّوَائِدِ.

والغناء- (ككلام- معناه الاكتفاء واليسار، والاسم منه الغنية- بالضم والكسر-: الاكتفاء واليسار أيضا) (٢).

وقال الليث: الغناء على مَعْنَيْنِ: على الاستغناء، وعلى التَطْرِيْبِ؛ قال الأزهري: فمن ذهب به إلى الاستغناء فهو من الغنى، مقصورٌ، ومن ذهب به إلى التَطْرِيْبِ فهو من الغناء الصَّوْتِ، ممدودٌ. وقال الأصمعي في المقصور والممدود: الغنى من المال مقصورٌ، ومن السَّماعِ ممدود، وكلُّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ وَوَالَاهُ فَصَوْتُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ غِنَاءٌ. والغناء، بالفتح: النَّفْعُ. والغناء، بالكسر: من السَّماعِ. والغنى، مقصورٌ: الْيَسَارُ. قال ابن الأعرابي: كانت العرب تتغنى بالركباني، إذا ركبَت

(١) تلخيص البيان عن مجازات القرآن ص ٤١٢- ٤١٦: الشريف الرضي ١٤١٩ هجرية .

(٢) مكارم الأخلاق، ص: ٣٣٦.

الإِبْل، وَإِذَا جَلَسْتَ فِي الْأَفْنِيَةِ وَعَلَى أَكْثَرِ أَحْوَالِهَا، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ أَحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكُونَ هَجِيرًا هُمْ بِالْقُرْآنِ .

سؤال: ما مدى مشروعية التنغيم والتطريب والتغني في قراءة القرآن؟

الجواب: لقد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات الغناء والتطريب والترنم بالقرآن والتنغيم به فيزيدون في المدود على ما لا ينبغي من أجل تحقيق هذه الأغراض وهي التطريب في الأصوات والترجيع فيها وهذا منهي عنه في الشريعة^(١).

وقد استند أصحاب فكرة قراءة القرآن بالمقامات القرآنية إلى مجموعة أحاديث وردت عن النبي الأكرم ﷺ ندرجها فيما يلي مع المناقشة من المصادر الإسلامية المعروفة.

الحديث الأول: عن النبي الأكرم ﷺ قال: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»^(٢).

إن هذا الحديث لم يرد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام بل ورد من طرق العامة فقط، وهذا القول من المجاز، والمراد به: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يداوم تلاوة القرآن، فيجعله دأبه وديدنه، وهجيره (عادته) وشغله، كما يجعل غيره الغناء مستروح حزنه، ومستفسح قلبه، وليس أن هناك غناء به على الحقيقة،

(١) الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) سنن النسائي ٢: ١٨٠، مسند أحمد ٢: ٢٧١، سنن الدارمي ٢: ٤٧٢، صحيح البخاري ٨: ١٩٥، صحيح مسلم ٢: ١٩٢، مستدرک الحاكم ١: ٥٧٠، التبيان في تفسير القرآن ٥: ٢٤٦، تفسير نور الثقلين ٥: ٥٣٦ / ٥.

وهذا كما يقول القائل: «قد جعل فلان الصوم لذته، والصلاة طربته (السرور)» إذا أقامهما مقام شغل غيره باللذات، وطربه (شوقه) إلى المستحسّنات.

و قد قيل: «إنّ المراد بذلك تحزين القراءة؛ ليكون أشجى للسامع، وآخذ بقلب العارف، فسَمّي هذه الطريقة: «غناء» على الاتساع؛ لأنّها تقود أزمّة القلوب، وتستميل نوازع النفوس^(١).

الحديث الثاني: وهو قوله صلى الله عليه وآله: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»^(٢) فليس المراد به هذا المعنى، وإنّما أراد عليه الصلاة والسلام: ليس منّا من لم يستغن بالقرآن عمّا سواه، و«تغنى» هاهنا بمعنى استغنى، وهو تفعل من الاستغناء، لا من الغناء، قال العجاج^(٣):

أرى الغواني قد غنين عني وقلن لي عليك بالتغني

أي استغنين عني وقلن لي: استغن عنا كما استغينا عنك، وهذا عند موت الشباب، وانقضاء الآراب.

و يؤكد ذلك الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنْ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ، فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا، وَصَغَّرَ عَظِيمًا»^(٤).

ولو كان المراد بالتغني في هذا الخبر ترجيع الصوت والتغنيم بالقرآن، لكان

(١) المجازات النبوية، ص: ٤١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المجازات النبوية، ص: ٢٢٢.

(٤) تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٦.

من لم يقصد هذه الطريقة في تلاوته ويعتمدها في صلاته، داخلاً تحت الذم، ومقارفاً للذنب؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» وبهذا يتبين أن المراد به الاستغناء وليس الغناء.

وقد ذكر صاحب البحار مانصه: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أن أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها، ولو كان كما يقول إنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون من لم يرجع صوته بالقراءة فليس من النبي ﷺ حين قال: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)^(١).

وكذلك ورد في معاني الأخبار مانصه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ). وهذا معناه ليس منا من لم يستغن به ولا يذهب به إلى الصوت وقد روي: أن (من قرأ القرآن فهو غني لا فقر بعده)^(٢).

وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَيْضاً: (أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ كَبِيرًا فَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَرَى أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَغْنَى مِنْهُ وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِرُحْبَاهَا)^(٣).

ولو كان كما يقوله البعض أنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك وبهذا يكون من لم يرجع صوته بالقراءة فليس

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٧٦، ص: ٢٥٦.

(٢) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦١٠.

(٣) المصدر نفسه.

من النبي ﷺ حين قال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ) (١)(٢).

ونقل البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب من لم يتغن بالقرآن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (ما أذن الله لشيء كما أذن للنبي ﷺ أن يتغنى بالقرآن) قال سفيان الثوري: تفسيره يستغنى به (٣).

وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (تَمَدَّحْتَ بِالْغِنَاءِ عَن خَلْقِكَ وَأَنْتَ أَهْلُ الْغِنَى عَنْهُمْ) (٤).

وفي تَوْحِيدِ الْمُفَضَّلِ، عن الصادق (عليه السلام) قال: (... وَالنَّارُ أَيْضاً كَذَلِكَ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَبْتُوثَةً كَالنَّسِيمِ وَالْمَاءِ كَانَتْ تُحْرِقُ الْعَالَمَ وَمَا فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ ظُهُورِهَا فِي الْأَحْيَانِ لِغِنَائِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَالِحِ فَجُعِلَتْ كَالْمَخْزُونَةِ فِي الْأَشْخَابِ تُلْتَمَسُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا) (٥).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل: (... يَا عَبْدَ اللَّهِ أَمَا تَعْرِفُنِي أَنَا أَجِيرُكَ الَّذِي سَخِطْتُ أُجْرَةً وَاحِدَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَتَرَكْتُهَا لِغِنَائِي عَنْهَا، وَأَنَا الْيَوْمَ

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص: ٢٧٩.

(٢) أخرج الحديث ابن ماجه في سننه والخطيب في معرفة التوحيد ص ٢٥ عن اسماعيل ابن رافع ويقول عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ج ١ ص ٦٩ انه ضعيف الحفظ وذهب الخطيب في التمهيد في معرفة التوحيد الى ان هناك جملة من العلماء قالوا ان التغني هو بمعنى الاستغناء عن متاع الدنيا وليس بمعنى الغناء والتطريب.

(٣) الكافي، ج ٤، ص: ٦٣٥.

(٤) الصحيفة السجادية، ص: ٧٠.

(٥) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٥٧، ص: ٨٧.

فَقِيرٌ [وَقَدْ صِرْتُ كَمَا تَرَى] وَقَدْ رَضِيتُ بِهَا، فَأَعْطِينِيهَا... (١)

وعن الإمام علي عليه السلام: (قال عند وفاته لولده الحسن عليه السلام يا بني احفظ عني أربعاً قال وما هن يا أباي؟ قال اعلم أن أغنى الغناء العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق) (٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (...اللهم يا من اسمه ذواء وذكروه شفاء وطاعته غناء أرحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء....) (٣).

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (اللهم وأسألك الغناء عن الناس أجمعين يا أرحم الراحمين) (٤).

وعن صعصعة بن صوحان، قال: عادني علي أمير المؤمنين عليه السلام في مرض، ثم قال: (انظر فلا تجعل عيادتي إياك فخراً على قومك، فإذا رأيتهم في أمر فلا تخرج منه، فإنه ليس بالرجل غناء عن قومه، إذا خلع منهم يداً واحدةً يخلعون منه أيدياً كثيرةً، فإذا رأيتهم في خير فأعنه عليه، وإذا رأيتهم في شر فلا تحذلهم، وليكن تعاونكم على طاعة الله، فإنكم لن تزالوا بخير ما تعاونتم على طاعة الله (تعالى)، وتناهيتم عن معاصيه) (٥).

(١) معدن الجواهر ورياضة الخواطر، ص: ٤٢.

(٢) مصباح المتعبد وسلاح المتعبد، ج ١، ص: ٣٦١.

(٣) مصباح المتعبد وسلاح المتعبد، ج ٢، ص: ٥٠٢.

(٤) مصباح المتعبد وسلاح المتعبد، ج ٢، ص: ٥٠٨.

(٥) الأمالي (للطوسي)، النص، ص: ٣٤٨.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: (مَا ضَرَّكَ إِنْ أَحْبَبْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَحْبَكَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ مِنْ أَبْغَضَكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ يُبْغِضُ أَحِبَّاءَ اللَّهِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِهِ يُحِبُّكَ فَيَنْفَعَكَ حُبُّهُ ثُمَّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَا يَسْتَوْحِشُ مَنْ كَانَ اللَّهُ أَنْيْسَهُ وَلَا يَذُلُّ مَنْ كَانَ اللَّهُ أَعَزَّهُ وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَانَ بِاللَّهِ غَنَاؤُهُ فَمَنْ اسْتَأْنَسَ بِاللَّهِ أَنْسَهُ اللَّهُ بِغَيْرِ أَنْيْسٍ وَمَنْ اعْتَزَّ بِاللَّهِ أَعَزَّهُ اللَّهُ بِغَيْرِ عَدَدٍ وَلَا عَشِيرَةٍ وَمَنْ يَسْتَعْنِي بِاللَّهِ أَعْنَاهُ اللَّهُ بِغَيْرِ دُنْيَاهُ) ^(١).

وقال الامام علي عليه السلام: (إنه لا غناء عندكم وإن اجتمعتم بالأبدان مع تفرقي القلوب) ^(٢). والغناء بالفتح والمد يعني النفع.

والتَّغْنَى بالقرآن: الاستغناء به، وقيل كانت هَجِيرَى العرب التغني بالرُّكْبَانِي، وهو نَشِيدٌ بالمدِّ والتَّمْطِيطُ إذا ركبوا الإبل وإذا انْبَطَّحُوا على الأرض، وإذا قَعَدُوا في أَفْنِيَّتِهِمْ، وفي عامَّة أحوالهم، فأحبَّ الرسولُ أن تكونَ قراءة القرآن هَجِيرًا لهم، فقال ذلك؛ يعني ليس منا من لم يضع القرآن موضع الرُّكْبَانِي في اللَهْجِ به والطَّرْبِ عليه. وقيل: هو تَفَعُّلٌ؛ من غَنِيَ بالمكان إذا أقام به [غنى]، وما غَنَيْتَ فلاناً أي ما أُلْفِته. والمعنى: من لم يلزمه ولم يتمسك به. وقول ابن مسعود: من قرأ سورة آل عمران فهو غني ^(٣).

(١) الأمامي (للطوسي)، النص، ص: ٣٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٧، ص: ٢٨٧.

(٣) الفايق في غريب الحديث، ج ٢، ص: ١٧.

الحديث الثالث: عن النبي ﷺ: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١)(٢).

وهو أن تجعل صوتك حسناً بقراءته، بتأدية الحروف والإعراب، والاعتماد على المخارج الصحيحة ما أمكن ذلك، فإنه يحسن به الصوت حسناً جيداً. ومن توهم أنه يُحَسِّنُ الْقُرْآنَ بصوته فقد غلط، لأن الصوت الحسن موهبة من الله تعالى ولا دخل له في القرآن، وربما يشد القارئ المستمعين إليه لحسن صوته من دون تصنُّع في تحسينه، ولأن القرآن شيء والصوت شيء آخر، كما أن الصوت الحسن لا دخل له في الألحان، لأن الألحان تخص المقامات والصوت الحسن يخص طبقات الصوت وتردداته من حيث الشدة أو الضعف والحدّه والترخيم فصوت المرأة عالي التردد وصوت الرجل قليل التردد وهذه من صفات أصل الصوت ولا دخل لها بالمقامات والترجيع في الصوت، ولم يبعث الله تعالى نبي ولا وصي ولم يختر إماماً إلا كان حسن الصوت وتام الخلقة والخلق، لكي تنجذب إليه الناس ولا تنفر منه من دون أن يقرأ أو يتكلم بالمقامات المعروفة^(٣)، وقد ورد عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَجْمَلِ الْجَمَالِ الشَّعْرَ الْحَسَنَ وَنِعْمَةَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ)^(٤).

(١) النهاية في غريب الحديث ٢: ٣٢٥، وفيه: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» قال الجزري: هو مقلوب؛ أي: زَيَّنُوا أَصْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآنِ، غريب الحديث للهروي ١: ٢٨٣، مستدرک الحاكم ١: ٥٧١، ٥٧٢، مجمع الزوائد ٧: ١٧٠، الدرّ المشور ١: ١٩.

(٢) نقل الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس عن النبي (ص) انه قال: (زيناوا أصواتكم بالقران) . واورده العطار في التمهيد في علم التجويد عن عائشة وابن عباس وابي هريره والوراء بن عازب ان النبي قال: (زينوا اصواتكم بالقران).

(٣) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٥٤، ص: ١٥٦.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ج ٢، ص: ٦١٦.

ومن طرق العامة عن قتادة: (ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه، حسن الصوت، حتى بعث نبيكم ﷺ حسن الوجه حسن الصوت . . . الخ) (١).

وقد كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حسن الصوت ويمتاز صوته بالقوة حيث نقل أنه إذا أذن يدخل صوته في بيوت أهل الكوفة، كما نقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه إذا قرأ القرآن تقف المارة وتخضع لسماع صوته وليس لأنه كان يترنم بالقرآن، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ الصَّوْتُ الْحَسَنُ (٢).

و يؤيد ذلك كله قول النبي صلى الله عليه وآله: (زينوا أصواتكم بالقرآن). وليس العكس كما هو المتداول في المصادر «زينوا القرآن بأصواتكم» (٣).

وليس المراد بذلك تلحين القراءة وتطريبها؛ فإن الأخبار قد وردت بدم هذه الطريقة حتى ذَكَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أُمُورًا عَدَدَهَا، ثُمَّ قَالَ: «وَأَنْ يُتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرًا» (٤). وهذا عند جميع فرق المسلمين.

الحديث الرابع: عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قَالَ: اقْرَأُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وَأَصْوَاتِهَا، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُونِ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَأَهْلِ الْكِبَائِرِ! فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُرْجِعُونَ الْقُرْآنَ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالنُّوحِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ، لَا يَجُوزُ تَرَاثِيمُهُمْ، قُلُوبُهُمْ مَغْلُوبَةٌ

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٩٨ (ط . لندن سنة ١٣٢١).

(٢) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦٣٥.

(٣) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦٣٥.

(٤) مسند أحمد ٦: ٢٢، وفيه: «يتخذون القرآن»، غريب الحديث للهيروي ١: ٢٨٣، كنز العمال ٥٧٣: ١٤ / ٣٩٦٣٩، وفيه: «اتخذوا»، مسند زيد بن علي: ٤٨٩، (وسائل الشيعة؛ ج ١٧؛ ص ٣١٠)، (هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام؛ ج ٦؛ ص ٣٦).

وَقُلُوبٌ مَّنْ يُعْجِبُهُ شَأْنُهُمْ^(١).

فقد ورد في هذا الحديث كلمتان هما أساس البحث وهما اللحن والترجيع.

١. معنى اللحن: (لَحَنْتُ بِلَحْنٍ فَلَانَ لَحْنًا: تَكَلَّمْتُ بِلَغْتِهِ. وَاللَّحْنُ: وَاحِدُ الْأَلْحَانِ وَاللُّحُونِ. وَقَدْ لَحَنَ فِي قِرَاءَتِهِ: إِذَا طَرَبَ بِهَا وَغَرَّدَ).^(٢).

٢. أما ترجيع الصوت: فهو ترديده في الحلق كقراءة أصحاب الألحان^(٣). ويقال: رَجَّعَهُ أَي رَدَّدَهُ، وَمِنَهُ التَّرْجِيعُ فِي الْأَذَانِ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالشَّهَادَتَيْنِ خَافِضًا بَهُمَا صَوْتَهُ ثُمَّ يَرْجِعُهُمَا رَافِعًا بِهِمَا صَوْتَهُ.

قال المازندراني: «أقول: للترجيع مراتب، بعضها الغناء... فمن عرف مراتبه وميَّز بينها وعرف مرتبة الغناء، فالظاهر أنه يجوز له ما دون هذه المرتبة، ولكن التمييز بينها مشكل جداً، والترجيع كثيراً ما يبلغ الغناء، كما هو المتعارف من قراءة أهل الحزب^(٤) ولا سيما عند إرادة الفراغ لما فيها من الخروج عن التلاوة، فالإحتياط تركه إلا ما علم قطعاً أنه لا يضر بالتلاوة»^(٥).

وهنا نشير الى ماورد في بداية المطلب السابق حول الغناء والتغني وأن المجتمعات الإسلامية اعتادت على ذلك حيث أن لبحث الغناء عند الفقهاء في باب المكاسب المحرمة شرحاً طويلاً وفيه أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ والأئمة

(١) وسائل الشيعة؛ ج ١٥؛ ص ١٧٦.

(٢) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦٣٥.

(٣) الصحاح، ج ٣، ص ١٢١٨ (مادة رجع).

(٤) الحزب: معناه قراءة المجموعة أو ما يعرف بالجوق.

(٥) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦٣٥.

الأطهار عليه السلام وردت في تحريمه ونقضه وإبرامه وعلى تفصيل ومن أحب الإطلاع فليراجع المصادر المختصة.

وأما الرَّهْبَانِيَّة: من رَهْبَنَةِ النصارى. وأصلها من الرَّهْبَةِ: الخوف. كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، وتعمد مشاقها^(١).

وكذلك ورد عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِق عليه السلام، قَالَ: «أَعْرَبِ الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ»^(٢).

والإعراب معناه: أي افصحوه وهذبوه من اللحن». وأعربتُ الشيء، وأعربت عنه، وعرّبتة، وعرّبت عنه، كلّها بمعنى التبيين والإيضاح. وعرّب: إذا لم يُلحن^(٣).

(١) النهاية، ج ٢، ص ٢٨٠ (رهب).

(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ج ٥، ص: ٥٨٩.

(٣) لسان العرب: مادة (عرب).

المطلب الثالث: في حرمة الغناء والتغني في الشريعة الإسلامية:

أضواء على لحن العرب وأصواتها:

كان الحداء في العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير في بعض أسفاره، فانكسرت يده فجعل يقول «يا يداه يا يداه» وكان من أحسن الناس صوتاً فاستوسقت الإبل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء برجز الشعر، وجعلوا كلامه أول الحداء فمن قول الحادي:

يا هاديا يا هاديا ويا يداه يا يداه

وكان الحداء أول السماع والترجيع في العرب، ثم اشتق الغناء من الحداء وناحت نساء العرب على موتاهما^(١). وقد روى صاحب البحار عن النبي ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (زَادُ الْمُسَافِرِ الْحُدَاءُ وَالشُّعْرُ مَا كَانَ مِنْهُ لَيْسَ فِيهِ جَفَاءٌ)^(٢). وقال السيد الرضي - قدس سره - في المجازات النبوية: ومن ذلك قوله ﷺ: زاد المسافر الحداء والشعر ما لم يكن فيه خناء، وهذا القول مجاز والمراد أن التعلل بأغاريد الحداء وأناشيد القريض يقوم للمسافرين مقام الزاد المبلغ في امسك الأرماق والاستعانة على قطع المسافات^(٣).

(١) مروج الذهب، للمسعودي: ج ٤ ص ١٣٣ طبع دار الاندلس.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٧٦، ص: ٢٦٢.

(٣) المجازات النبوية، ص: ٤١٧.

الأحاديث التي تدم التطريب والترجيع في قراءة القرآن:

هناك العديد من الروايات عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام في ذم التطريب والتغني والترجيع في قراءة القرآن ندرج منها مع المصادر:

١. ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أُمُورًا عَدَدَهَا، ثُمَّ قَالَ: «... وَأَنْ يُتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرًا»^(١).

٢. وَقَالَ ﷺ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَصَاحِفَ حُلِيَّتْ وَالْمَسَاجِدَ زِينَتْ وَالْمَنَارَةَ طُوِّلَتْ وَاتَّخَذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرًا^(٢).

٣. وَقَالَ ﷺ: أَلَا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ سِتَّةَ أَشْيَاءَ إِمَارَةَ الشُّفَهَاءِ وَالرَّشْوَةَ فِي الْحُكْمِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ ... وَيَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرًا فِي أَصْوَاتِهِمْ وَكَثْرَةَ الْفُتُوى بِغَيْرِ عِلْمٍ^(٣).

٤. وعن سلمان المحمدي عن النبي ﷺ: يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزامير، ويتغنون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا...^(٤).

٥. وعن رسول الله ﷺ في حديثٍ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ إِضَاعَةَ الصَّلَوَاتِ وَاتِّبَاعَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَيْلَ إِلَى الْأَهْوَاءِ إِلَى أَنْ قَالَ فَعِنْدَهَا يَكُونُ أَقْوَامٌ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَيَتَّخِذُونَهُ مَزَامِيرًا ... وَيَتَغَنُّونَ بِالْقُرْآنِ^(٥).

(١) معدن الجواهر ورياضة الخواطر، ص: ٥٤.

(٢) المعجازات النبوية: ص ٢٢١.

(٣) شرح أصول الكافي، ج ٢، ص: ٥٠٥.

(٤) نوادر الأخبار فيما يتعلق بأصول الدين (للفيض)؛ ص ٣٢٨.

(٥) وسائل الشيعة؛ ج ١٧؛ ص ٣١٠، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام؛ ج ٦؛ ص ٣٦.

٦. وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اسْتِخْفَافًا بِالدِّينِ وَبَيْعَ الْحُكْمِ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ وَأَنْ تَتَّخِذُوا الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ تُقَدِّمُونَ أَحَدَكُمْ وَلَيْسَ بِأَفْضَلِكُمْ فِي الدِّينِ ^(١).

٧. قَالَ سَلْمَانَ الْمَحْمَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَالِيًّا فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى الْقَائِمُ مِنْ وُلْدِكَ فَتَنَفَسَ الصُّعْدَاءُ وَقَالَ: (لَا يَظْهَرُ الْقَائِمُ حَتَّى يَكُونَ أُمُورُ الصَّبِيَانِ وَيَضِيعَ حُقُوقُ الرَّحْمَنِ وَيَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ) ^(٢)

والسؤال المطروح بقوة: هل أن المقامات الحالية التي يقرأ بها القرآن تعدّ من لحون العرب أم من لحون أهل الفسق والعصيان؟
الجواب:

إن هذا سؤال جدير بالإهتمام كما أن الجميع يعرف أن المدرسة المصرية هي أساس المقامات التي فيها التطريب والترجيع وهذه المقامات بدأت تنتشر في العالم الإسلامي عن طريق القراء المصريين، وهنا نشير إلى بعض ما ورد في طيات هذا البحث وإلى بعض ما قاله أهل هذا الفن أنفسهم، ونحيل إليها القارئ الكريم ونترك له أن يحكم بنفسه:

ما ورد في هذا المجال من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وقد ورد في معاني الأخبار مانصه: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ)، وهذا معناه ليس منا من لم يستغن به ولا يذهب به إلى الصوت وقد روي: أن (من قرأ القرآن فهو غني لا فقر بعده) ^(٣).

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج ٦٩؛ ص ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٥٢، ص: ٢٧٥.

(٣) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦١٠.

وَرُويَ أَيضاً: أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ كَبِيرًا فَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَرَى أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَغْنَى مِنْهُ وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِرُحْبِهَا^(١).

ولو كان كما يقوله قوم أنه ترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك وبهذا يكون من لم يرجع صوته بالقراءة فليس من النبي ﷺ حين قال: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ^(٢). وهو قوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»^(٣) فليس المراد به هذا المعنى، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام: ليس منّا من لم يستغن بالقرآن عمّا سواه، و«تغنى» هاهنا بمعنى استغنى، وهو تفعل: غَنَى يَغْنِي غِنًى واستغنى يستغني من الاستغناء، لا من الغناء، قال العجاج:

أرى الغواني قد غنين عني وقلن لي عليك بالتغني

أي استغنين عني وقلن لي: استغن عنا كما استغينا عنك، وهذا عند موت الشباب، وانقضاء الآراب.

ويؤكد ذلك الحديث الوارد عنه ﷺ: «مَنْ قرَأَ الْقُرْآنَ فرَأى أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ، فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا، وَصَغَّرَ عَظِيمًا»^(٤).

ولو كان المراد بالتغني في هذا الخبر ترجيع الصوت والتنغيم بالقرآن، لكان من لم يقصد هذه الطريقة في تلاوته ويعتمدها في صلاته، داخلا تحت الذم، ومقارفا للذنب؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»

(١) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦١٠.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص: ٢٧٩.

(٣) المعجازات النبوية، ص: ٤١٧.

(٤) تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٦.

وبهذا يتبين أن المراد به الاستغناء وليس الغناء.

وقد ذكر صاحب البحار مانصه: لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أن أحداً من أهل الأرض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها، ولو كان كما يقول إنه الترجيع بالقراءة وحسن الصوت لكانت العقوبة قد عظمت في ترك ذلك أن يكون من لم يرجع صوته بالقراءة فليس من النبي ﷺ حين قال: ليس منا من لم يتغن بالقرآن^(١).

وقال المازندراني: «أقول: للترجيع مراتب، بعضها الغناء ... فمن عرف مراتبه وميّز بينها وعرف مرتبة الغناء، فالظاهر أنه يجوز له ما دون هذه المرتبة، ولكن التمييز بينها مشكل جداً، والترجيع كثيراً ما يبلغ الغناء، كما هو المتعارف من قراءة أهل الحزب^(٢) ولا سيما عند إرادة الفراغ لما فيها من الخروج عن التلاوة، فالإحتياط تركه إلا ما علم قطعاً أنه لا يضر بالتلاوة»^(٣).

٨. وأما في مدرسة الصحابة والتابعين والتي ذكرنا تفاصيل الأقوال فيها سابقاً فنشير إلى الفقرات التالية منها ونضعها بين يدي القارئ الكريم:

أ- منكري الغناء والتطريب من الصحابة والتابعين.

ب- أسلوب التغني الذي ينكره المسلمون.

ج- غنائيات القراء.

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج ٧٦، ص: ٢٥٦.

(٢) الحزب: معناه قراءة المجموعة أو ما يعرف بالجوق.

(٣) الكافي (ط - دار الحديث)، ج ٤، ص: ٦٣٥.

ونورد بعض النصوص منها لكي يكتمل الموضوع.

قال القرطبي في شرح مقدمة الجزرية:

(المراد بلحون العرب القراءة بالطبع وبالأصوات السليقة، وبلحون أهل الفسق الأنغام المستفادة من الموسيقى والامر محمول على الندب، والنهي محمول على الكراهية إن حصل مع المنهي عنه المحافظة على صحة ألفاظ الحروف، وإلا فمحمول على التحريم) (١).

ويقول ابن حجر في (شرح الشمائل):

(قد كثر الخلاف في التطريب والتغني في القرآن، والحق أن ما كان منه طبيعياً وسجياً (نسبة لسجية) كان محموداً، وما كان منه بالتكلف والألحان المخترعة فهذا هو الذي كرهه السلف) (٢).

إن هذه البدعة: بدعة التمطيط الذي يخرج القرآن إلى الغناء تتفشى أحيانا بين القراء فرادى، وبينهم مجتمعين، فتثير أصحاب الغيرة، وتؤيسهم أحيانا من صلاح الحال (٣)

ويحدد الشيزري قواعد الحسبة على المؤذنين والأئمة والقراء، فيذكر منها أن (يأمر المحتسب أهل القرآن بقراءته مرتلا، كما أمر الله سبحانه وتعالى، وينهاهم عن تلحين القرآن وقراءته بالأصوات اللحنة) (٤).

(١) كشف اصطلاحات الفنون ج ٢ ص ٩٠٠٢، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٦.

(٢) نقلا عن ساجقلى زاده ص ٥.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع ج ٤ ص ٢٥٦ - الترجمة ٦٦٣.

(٤) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٠٨.

والنووي من أعلام الشافعية، والمتوفى سنة ٦٧٦ هـ يصف تلك القراءة بأنها مصيبة ابتلى بها بعض الجهلة الطغام^(١).

ويردد النووي قول الماوردي: (أن هذه بدعة محرمة ظاهرة يأثم كل مستمع لها، كل قادر على إزالتها أو النهى عنها فهو آثم إذا لم يفعل ذلك)، ثم يقول النووي عن محاربه لهذه البدعة: (وقد بذلت فيها بعض قدرتي، وأرجو من الله الكريم أن يوفق لإزالتها من هو أهل لذلك، وأن يجعله في عاقبة)^(٢).

ويقول الزيلعي: (لا يحل الترجيع في قراءته، ولا التطريب فيه، ولا يحل الاستماع إليه، لأن فيه تشبهاً بفعل الفسقة في حال فسقهم، وهو التغني؟ أي التغني بغزلياتهم بالألحان المخترعة)^(٣).

وتمنى الصحابي أبو هريرة الموت مخافة أن تدركه سنة عدّ منها أن يتخذ الناس القرآن مزامير^(٤).

ومن كرهها أيضاً من تابعي التابعين: سفيان ابن عيينة ومالك بن أنس^(٥).

وفي سنن الدارمي: أنهم كانوا يرون هذه الألحان في القراءة محدثة، ومعلوم أنه في الإسلام: شر الأمور محدثاها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(٦).

(١) الطغام: الأوغاد من الناس والأراذل الذين لا منزلة لهم بين الناس .

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٥٦ .

(٣) زاد المعاد: ص ٣١ .

(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى - ج ٢ ص ٤٧٤ .

(٥) بن القيم: زاد المعاد ج ١ ص ١٣٧ .

(٦) المصدر نفسه .

(وروي أن إجازة القراءة بالألحان هي اختيار ابن جرير الطبري . وعبيد الله بن أبي بكرة، وكنيته أبو حاتم من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل البصرة، والذي ولى قضاء البصرة، وأوفده الحجاج على الخليفة عبد الملك، فسأله أن يولي الحجاج خراسان وكسجستان، هذا القاضي السياسي هو أول من قرأ القرآن بالألحان)^(١) .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن القراءة بالألحان، فكرهها، وقال: لا، إلا أن يكون طبع الرجل^(٢) .

إن القارئ أحمد ندا مثلاً الذي كان (لا يأخذ في قراءته سمياً واحداً، بل لا يبرح يترجع بين فنون النغم) كان (يقيم الناس ويقعدهم، ويطويهم وينشرهم، ويذيقهم المهول الرائع من الطرب والإنبهار)^(٣) .

شبهة الثناء على القراء:

إن القراء مثل المغنين يسرهم أن يتلقوا عبارات الثناء والإعجاب، وبعضهم في المحافل يتحرى المعجبين، وقد يدبر هو نفسه لوجودهم، ويظهر المعجبون الطرب، فيسمع لهم ضجيج حتى في المساجد وفي المآتم وقد ذكروا أن يوسف المنيلوى الذي ورد له ذكر في فصل سابق، كان يسأل المستمعين عن رأيهم في قراءته التماساً لصيحات الإعجاب . وقيل في تعليل هذا إنه (كان يعاني

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) كتاب العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٧٣ .

(٣) راغب مفتاح: الألحان مقال بمجلة مدارس الاحد ابريل ١٩٦٠ ص ٢٩ و ٣٠ .

عقداً نفسه ربما كانت راجعة إلى ضالّة شأنه في الحياة^(١). إن سلوك كثير من المعجبين بالقراء منافي للأدب الواجب للقرآن، ولعل صاحب (تفسير المنار) أن يكون قد وصفهم وصفاً دقيقاً، عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَ لَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء (٤٦).

يقول في شأن من يقابلون هذا التأديب القرآني بالغلط والضجيج: (إنهم يلغظون في مجلس القرآن فلا يستمعون ولا ينصتوا، ومن أنصت واستمع فإنما ينصت طرباً بالصوت، واستلذاذا بتوقيع نعمات القارئ (وإنهم ليقولون في استحسان ذلك واستجادته ما يقولون في مجالس الغناء، ويهتزون للتلاوة، ويصوتون بأصوات مخصوصة، كما يفعلون عند سماع الغناء بلا فرق، ولا يلتفتون إلى شيء من معانيه إلا ما يرونه مدعاة لسرورهم في مثل قصة يوسف عليه السلام، مع الغفلة فيها من العبرة وإعلاء شأن الفضيلة، ولا سيما العفة والأمانة) ثم يقول: (أليس هذا أقرب إلى الاستهانة بالقرآن منه بالأدب اللائق الذي ترشد إليه هذه الآية الكريمة وأمثالها، وتتوعد على تركه بجعله مجاوراً للكفر الذي يسوق صاحبه إلى العذاب الأليم؟) ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ المؤمنون: (٦٨ - ٦٩)^(٢).

وهناك قصة من حي المذبح بالقاهرة تشهد بإسراف بعض المعاصرين في مجافاة الأدب الواجب للقرآن، ومتابعتهم للنغم لا للمعاني القرآنية، ومؤدى

(١) محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٤٤ لحنون العرب.

(٢) تفسير المنارج ١ ص ٤١١ و ٤١٢.

هذه القصة أن طائفتين من المستمعين إلى القارئ الشيخ محمد القهاوي، في أحد المآتم اقتتلا، لأن إحداهما عابت صوت القارئ، فأثار ذلك الأخرى: فمات أربعة، ونقلت عربات الإسعاف أكثر من عشرة إلى المستشفيات) (١). فهل هذا ينسجم مع ادب القرآن وتدبره وما أمر الله تعالى به في أصول تلاوة كتابه الكريم في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف (٢٠٤) وهل تنسجم هذه الأخلاقيات الغربية مع ما وصى به النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ في اداب تلاوة القرآن حيث قال النبي ﷺ: (إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْحُزْنِ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا فَإِنَّ لَمْ تَبْكُوا فَبَاكُوا) (٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها، وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع) (٣)

آيات في تعظيم شأن القرآن:

ونذكر أنفسنا والقارئ الكريم ونقول هل أن هذا الذي ورد يتناسب مع قول الله عز وجل في حق القرآن:

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الحشر (٢١).

وفي قوله تعالى في سورة ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ص (٢٩).

(١) أنظر: محمود السعدني: دولة المقرئين ص ٢٦ و ٢٧، الاتقان: ج ١، ص ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٩١.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢، ص: ٤٤.

وفي قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم (١).

وفي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا﴾ الكهف (١-٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ النساء (١٠٥).

وفي قوله جل وعلا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ آل عمران (١٠٨).

وفي قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ آل عمران (١٠٨).

وفي قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ البقرة (٢٥٢).

وفي قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ المائدة (٤٨).

وفي قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ النحل (١٠٢).

وفي قوله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ الإسراء (١٠٥).

وفي قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الزمر (٢).

وفي قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ الزمر (٤١).

وفي قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ الشورى (١٧).

وفي قوله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الزخرف (٧٨).

وفي قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ الجاثية (٦).

وفي قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الجاثية (٢٩).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف (٥٢). ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمل (٥).

الفصل الرابع

نظرة في القراءات ومعنى قراءة أهل البيت عليهم السلام القرآنية

المطلب الأول: وحدة القرآن وتعدد القراءات

المطلب الثاني: الروايات الواردة في التحريف وتوجيهها

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تدوين وتدریس القرآن

المطلب الأول: وحدة القرآن وتعدد القراءات^(١):

إن المنقول عن أهل البيت عليهم السلام في موضوع القراءة لا يختلف عن القواعد التي وضعها علماء القراءة، إذ لا يعدو (الاختلاف في التشكيل والتنقيط، أو التقديم والتأخير، أو التنزيل والتأويل).

وكل ذلك لا يؤثر على أصل القرآن حتى قال علماؤنا لا بد من التفريق بين القرآن والقراءات.

وقال الشيخ المفيد في المسائل السروية: في موضوع وحدة القرآن وتعدد القراءات. قد يرد سؤال: كيف يصح القول بأن الذي بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة، من غير زيادة فيه ولا نقصان، وأنتم تروون عن الأئمة (أنهم قرؤوا: (كُتِّمَ خَيْرٌ - أئمة - أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)، (وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ - أئمة - وَسَطًا) وقرؤوا: (يسألونك - الأنفال) وهذا بخلاف ما في المصحف الذي في أيدي الناس؟

الجواب على ذلك: إن الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها، فلذلك وقفنا فيها، ولم نعدل عما في المصحف الظاهر على ما أمرنا به، لأننا أمرنا أن نقرأ كما يقرأ الناس، مع أنه لا ينكر أن تأتي القراءة على وجهين منزلين: أحدهما: ما تضمنه المصحف، والثاني: ما جاء به الخبر، كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على أوجه شتى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ التكوير (٢٤) يريد: ما هو ببخيل، وبالقراءة

(١) البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي رحمته الله باب وحدة القرآن وتعدد القراءات.

الأخرى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ-) يريد: بمتهم ومثل قوله تعالى: (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ). وعلى قراءة أخرى: من تحتها الأنهار. ونحو قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ) وفي قراءة أخرى (-إِنَّ هَذِينَ- لَسَاحِرَانِ). وما أشبه ذلك بما يكثر تعداده، ويطول الجواب بإثباته وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى^(١).

وصرح بهذا القول وانتصر له جل أعلام الإمامية، وبه تواترت تقاريرهم، ومنهم- غير الشيخ المفيد - الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، قال: اعتقدنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلوات الله عليه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس. والشريف المرتضى علم الهدى (٤٣٦ هـ)، وشيخ الطائفة الطوسي (٤٦٠ هـ)، والشيخ أبو علي الطبرسي (٥٤٨)، قالوا: الصحيح من مذهبنا أن القرآن الكريم هو ما بين الدفتين، ولم يطرأ عليه زيادة ولا نقصان^(٢).

وكذلك العلامة الحلي (٦٢٧ هجرية)، وقد سُئِلَ عن ذلك، فقال: الحق أنه لا تبديل، ولا تأخير، ولا تقديم فيه، وأنه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله من أمة تعتقد مثل ذلك، فإنه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول صلوات الله عليه المنقولة بالتواتر^(٣).

الشيخ زين الدين البياضي العاملي (٨٧٧ هجرية): قال عُلِمَ بالضرورة تواتر القرآن بجملته وتفصيله، وكان التشديد في حفظه أتم، حتى نازعوا في أسماء السور والتفسيرات، وإنما اشتمل الأكثر عن حفظه بالتفكير في معانيه وأحكامه، ولو زيد فيه أو نقص لعلمه كل عاقل وإن لم يحفظه لمخالفة فصاحته وأسلوبه^(٤).

(١) - المسائل السروية- الشيخ المفيد: ص ٨٢-٨٥.

(٢) أنظر: تفسير التبيان ١:٣، تفسير مجمع البيان: ١:٣٨.

(٣) أجوبة المسائل المهنية: ١٢١.

(٤) الصراط المستقيم ١:٤٥.

وقال العلامة البلاغي في الرد على رواية (-وجعلناكم أئمة-وسطا): إن ما روي مرسلًا في تفسيريّ النعماني وسعد من أن الآية: أمة وسطا لا بد من حمله على التفسير، وأن التحريف إنما هو للمعنى. ودليله حديث أمير المؤمنين عليه السلام: نحن الذين قال الله: فينا وجعلناكم أمة وسطا. وحديث الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: (وجعلناكم أمة-وسطا): نحن الأمة الوسطى^(١).

وقال السيد الخوئي (قدس سره) في كتابه البيان تحت هذا العنوان: (نظرة في القراءات).

باب: تواتر القرآن من الضروريات، وليست القراءات متواترة، وتصريحات أرباب الفن بعدم تواتر القراءات، ونقد ما استدل به على تواتر القراءات، ليست الأحرف السبع هي القراءات السبع، حجية القراءات، جواز القراءة بها في الصلاة.

قال: قد أسلفنا في التمهيد من بحث أضواء على القراء بعض الآراء حول تواتر القراءات وعدمه وأشارنا إلى ما ذهب إليه المحققون من نفي تواتر القراءات، مع أن المسلمين قد أطبقوا على تواتر القرآن نفسه، والآن نبدأ بالاستدلال على ما اخترناه من عدم تواترها بأمور:

الأول: إن استقرار حال الرواة يورث القطع بأن القراءات نُقلت إلينا بأخبار الآحاد، وقد اتضح ذلك فيما أسلفناه في تراجمهم فكيف تصح دعوى القطع بتواترها عن القراء على أن بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

(١) آلاء الرحمن: ٢٧.

الثاني: إن التأمل في الطرق التي أخذ عنها القراء، يدلنا دلالة قطعية على أن هذه القراءات إنما نقلت إليهم بطريق الأحاد.

الثالث: اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كانت رواها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإن كل قارئ إنما ينقل قراءته بنفسه.

الرابع: احتجاج كل قارئ من هؤلاء على صحة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضاً، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أن القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وآرائهم، لأنها لو كانت متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحتج في إثبات صحتها إلى الاستدلال والاحتجاج.

الخامس: إن في إنكار جملة من أعلام المحققين جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها، إذ لو كانت متواترة لما صح هذا الإنكار فهذا ابن جرير الطبري أنكر قراءة ابن عامر، وطعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع، وطعن بعضهم على قراءة حمزة، وبعضهم على قراءة أبي عمرو، وبعضهم على قراءة ابن كثير، وأن كثيراً من العلماء أنكروا تواتر ما لا يظهر وجهه في اللغة العربية، وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء، وفي ترجمة حمزة إنكار قراءته من إمام الحنابلة أحمد، ومن يزيد بن هارون، ومن ابن مهدي (ومن أبي بكر بن عياش، ومن ابن دريد).

المطلب الثاني: الروايات الواردة في التحريف وتوجيهها:

إن من المسائل المهمة التي بحثها السيد الخوئي رحمته الله هو مجموعة من الروايات التي وردت في مصادرنا الشيعية فيها بعض الزيادات، وقد ظن البعض انها تحريف إلا إنها لدى التحقيق لا تعدو كونها ضعيفة السند في بعضها، وأما البعض الآخر فهو من باب التأويل والتنزيل ولنترك القلم للسيد الخوئي رحمته الله في توجيه هذه الروايات حيث أن جل ما نقلناه هنا من هذا القبيل، قال:-

سؤال: إن الروايات المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام قد دلت على تحريف القرآن فلا بد من القول به^(١).

والجواب: إن هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه، وتوضيح ذلك: إن كثيراً من الروايات، وإن كانت ضعيفة السند. فإن جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السيارى، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه، وأنه يقول بالتناسخ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنه كذاب، وأنه فاسد المذهب إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين (ولا أقل من الاطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر فلا حاجة بنا إلى التكلم في سند كل رواية بخصوصها. علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات، وإيضاح بأنها ليست متحدة في المفاد، وأنها على طوائف فلا بد لنا من شرح ذلك والكلام على كل طائفة بخصوصها:

الطائفة الأولى: هي الروايات التي دلت على التحريف بعنوانه، وانها تبلغ عشرين رواية، نذكر جملة منها ونترك ما هو بمضمونها وهي:

(١) البيان في تفسير القرآن:- السيد الخوئي رحمته الله - ص ٢٢٦-٢٣٢.

عن علي بن إبراهيم القمي، بإسناده عن أبي ذر. قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله ترد أمتي علي يوم القيامة على خمس رايات. ثم ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله يسأل الرايات عما فعلوا بالثقلين فتقول الراية الأولى: أما الأكبر فحرفناه، ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الأصغر فعادينا، وأبغضناه، وظلمناه وتقول الرواية الثانية: أما الأكبر فحرفناه، ومزقناه، وخالفناه، وأما الأصغر فعادينا وقتلناه^(١).

عن ابن طاووس، والسيد المحدث الجزائري، بإسنادهما عن الحسن بن الحسن السامري في حديث طويل أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لحذيفة فيما قاله في من يهتك الحرم: إنه يضل الناس عن سبيل الله، ويحرف كتابه، ويغير سنتي^(٢).

وعن سعد بن عبد الله القمي: بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى. فقال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين -أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله قد نبذوا ومنها قد تبرؤوا^(٣).

وعن الصدوق في الخصال: بإسناده عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة. يقول المصحف يارب حرفوني ومزقوني، ويقول المسجد يا رب عطلوني وضعوني، وتقول العترة

(١) تفسير القمي: ج ١، ص: ١٠٩.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص: ٧٧.

(٣) مختصر البصائر، ص: ٢٦١.

يارب قتلونا، وطرّدونا، وشرّدونا^(١).

وعن الكافي والصدوق، بإسنادهما عن علي بن سويد. قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتابا إلى أن ذكر جوابه عليه السلام بتمامه، وفيه قوله عليه السلام: (أوتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه)^(٢).

وعن ابن شهر آشوب، بإسناده عن عبد الله في خطبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وفيها: إنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب^(٣).

وعن كامل الزيارات، بإسناده عن الحسن بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخلت الحائر فقل: اللهم العن الذين كذبوا رسلك، وهدموا كعبتك، وحرفوا كتابك^(٤).

وعن الحجال، عن قطبة بن ميمون عن عبد الأعلى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام أصحاب العربية يحرفون كلام الله عز وجل عن مواضعه^(٥).

المفهوم الحقيقي للروايات: والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة: أن الظاهر من الرواية الأخيرة تفسير التحريف باختلاف القراء، وإعمال اجتهاداتهم في القراءات. ومرجع ذلك إلى الاختلاف في كيفية القراءة مع التحفظ على جوهر

(١) الخصال، ج ١، ص: ١٧٥ ب ٣ ح ٢٣٢.

(٢) رجال الكشي - إختيار معرفة الرجال، ص: ٤.

(٣) مكاتيب الأئمة عليهم السلام، ج ٣، ص: ١٤٩.

(٤) كامل الزيارات، ص: ١٩٧.

(٥) مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ج ٤، ص: ٢٨٠ ح ٤٧٠١.

القرآن وأصله وقد أوضحنا للقارئ في صدر المبحث أن التحريف بهذا المعنى مما لا ريب في وقوعه، بناء على ما هو الحق من عدم تواتر القراءات السبع، بل ولا ريب في وقوع هذا التحريف، بناء على تواتر القراءات السبع أيضاً، فإن القراءات كثيرة، وهي مبنية على اجتهادات ظنية توجب تغيير كيفية القراءة فهذه الرواية لا مساس لها بمراد المستدل .

وأما بقية الروايات، فهي ظاهرة في الدلالة على أن المراد بالتحريف حمل الآيات على غير معانيها، الذي يلزم إنكار فضل أهل البيت عليهم السلام (ونصب العداوة لهم وقتالهم. ويشهد لذلك صريحاً-نسبة التحريف إلى الذين قاتلوا أبا عبد الله عليه السلام في الخطبة المتقدمة. ورواية الكافي التي تقدمت في صدر البحث، فإن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: وكان من نبذهم الكتاب أنهم أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده) ^(١).

وقد ذكرنا أن التحريف بهذا المعنى واقع قطعاً، وهو خارج عن محل النزاع، ولولا هذا التحريف لم تزل حقوق العترة محفوظة، وحرمة النبي فيهم مرعية، ولما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه من اهتضام حقوقهم وإيذاء النبي صلى الله عليه وآله فيهم.

الطائفة الثانية: هي الروايات التي دلت على أن بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الأئمة وهي كثيرة: منها: ما ورد من ذكر أسماء الأئمة في القرآن .

كرواية الكافي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ولاية علي بن أبي طالب مكتوبة

في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولا إلا بنبوّة محمد وولاية وصيه، صلى الله عليهما والهما^(١).

ومنها رواية العياشي، بإسناده عن الصادق عليه السلام: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفينا مسمين^(٢).

ومنها: رواية الكافي، وتفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام وكنز الفوائد بأسانيد عديدة عن ابن عباس، وتفسير فرات بن إبراهيم الكوفي بأسانيد متعددة أيضا، عن الأصبع بن نباتة. قالوا: قال أمير المؤمنين عليه السلام القرآن نزل على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن^(٣).

ومنها رواية الكافي، أيضا بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد عليه السلام هكذا: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا - فِي عَلِيٍّ - فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)^(٤).

والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة أنا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة (في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب، والسنة، والأدلة

(١) الكافي: ج ١، ص ٤٣٧، ح ٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٤.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨، ح ٤.

(٤) الكافي: ج ١، ص ٤١٧، ح ٢٧.

المتقدمة على نفي التحريف، وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه، وضره على الجدار.

ويعارض جميع هذه الروايات صحيحة أبي بصير المروية في الكافي. قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء (٥٩).

قال: فقال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (فقلت له: إن الناس يقولون فما له لم يُسَمَّ علياً وأهل بيته في كتاب الله؟). قال عليه السلام: فقولوا لهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يُسَمَّ الله لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر لهم ذلك.... فتكون هذه الصحيحة حاکمة على جميع تلك الروايات، وموضحة للمراد منها، وأن ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير، أو بعنوان التنزيل، مع عدم الأمر بالتبليغ. ويضاف إلى ذلك أن المتخلفين عن بيعة أبي بكر لم يحتجوا بذكر اسم علي في القرآن، ولو كان له ذكر في الكتاب لكان ذلك أبلغ في الحجة، ولا سيما أن جمع القرآن بزعم المستدل كان بعد تمامية أمر الخلافة بزمان غير يسير، فهذا من الأدلة الواضحة على عدم ذكره في الآيات.

الطائفة الثالثة: هي الروايات التي دلت على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان، وان الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرت بعض الكلمات وجعلت مكانها كلمات أخرى.

فمنها: ما رواه علي بن إبراهيم القمي، بإسناده عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام:
 (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين)^(١).

ومنها: ما عن العياشي، عن هشام بن سالم. قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام
 عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾
 آل عمران (٣٣) قال: هو آل إبراهيم وآل محمد عليه السلام ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فوضعوا اسما
 مكان اسم أي أنهم غيروا فجعلوا مكان آل محمد آل عمران؟^(٢).

والجواب: عن الاستدلال بهذه الطائفة بعد الاغضاء عما في سندها من
 الضعف أنها مخالفة للكتاب، والسنة، ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في
 القرآن ولا حرفاً واحداً حتى من القائلين بالتحريف. وقد ادعى الاجماع جماعة
 كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، وأن مجموع ما بين الدفتين كله من القرآن.
 ومن ادعى الاجماع الشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي، وغيرهم
 من الأعاظم قدس الله أسرارهم. وقد تقدمت رواية الاحتجاج الدالة على عدم
 الزيادة في القرآن^(٣).

الطائفة الرابعة: هي الروايات التي دلت على التحريف في القرآن بالنقيصة فقط.

والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة أنه لا بد من حملها على ما تقدم في معنى
 الزيادات في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام وإن لم يمكن ذلك الحمل في جملة منها

(١) تفسير العياشي: ج ١، ص: ٢٤، ح ٢٨.

(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص: ١٦٨، ح ٣٠.

(٣) البيان في تفسير القرآن: - السيد الخوئي - ص ٢٣٥.

فلا بد من طرحها لأنها مخالفة للكتاب والسنة، وقد ذكرنا لها في مجلس بحثنا توجيهها آخر أعرضنا عن ذكره هنا حذرا من الإطالة، ولعله أقرب المحامل، ونشير إليه في محل آخر إن شاء الله تعالى. على أن أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند. وبعضها لا يحتمل صدقه في نفسه. وقد صرح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها.

ومن صرح بذلك المحقق الكلباسي حيث قال على ما حكى عنه: إن الروايات الدالة على التحريف مخالفة لإجماع الأمة إلا من لا اعتداد به... وقال: إن نقصان الكتاب مما لا أصل له وإلا لاشتهر وتواتر، نظرا إلى العادة في الحوادث العظيمة، وهذا منها بل أعظمها.

وعن المحقق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك، ونقله عن المحقق الكركي الذي صنف في ذلك رسالة مستقلة، وذكر فيها: أن ما دل من الروايات على النقيصة لا بد من تأويلها أو طرحها، فإن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب، والسنة المتواترة، والاجماع، ولم يمكن تأويله، ولا حمله على بعض الوجوه، وجب طرحه.

يقول السيد الخوئي رحمته الله: أشار المحقق الكركي بكلامه هذا إلى ما أشرنا إليه - سابقا - من أن الروايات المتواترة قد دلت على أن الروايات إذا خالفت القرآن لا بد من طرحها، فمن تلك الروايات: ما رواه الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام: الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتاب الله

فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه...

وما رواه الشيخ الجليل سعيد بن هبة الله القطب الراوندي بسنده الصحيح إلى الصادق عليه السلام: إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه...^(١).

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص: ١١٨، ح ٣٣٣ ٦٢ - ٢٩.

المطلب الثالث: المنهج النبوي في تدوين وتدريس القرآن:

إن ما وصل إلينا من تاريخ النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يعلم أصحابه القرآن عشر آيات وكان يعلمهم القراءة والعلم والعمل بها وكانوا يثبتون هذه الزيادات التفسيرية والتأويلية في مصاحفهم وخير دليل على ذلك كتاب (المصاحف) لابي داوود السيجستاني حيث جمع ما وصل إليه من بقايا المصاحف بعد الحرق صفحات من هنا وهناك جمعها ورتبها في كل فصل يعرض مصاحف الصحابة.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وآله عشر آيات فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل^(١).

وعن عثمان وابن مسعود وأبي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعا^(٢).

وكذلك مصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيه التنزيل والتأويل حيث أنه كان يدون ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ ابْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ أَبَانَ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَجَابَنِي وَإِنْ فَنَيْتُ مَسْأَلِي ابْتَدَأَنِي فَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةٌ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٦. هامش ص ٣٠.

(٢) تفسير القرطبي ج ١ ص ٧٨-٧٩.

دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا ضِيَاءٍ وَلَا ظُلْمَةٍ إِلَّا أَقْرَأْنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ وَكَتَبْتُهَا بِيَدِي وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا وَكَيْفَ نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَفِيمَنْ أَنْزَلْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ دَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يُعْطِيَنِي فَهَمًّا وَحِفْظًا فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَلَيَّ مَنْ أَنْزَلْتَ إِلَّا أَمْلَاهُ عَلَيَّ^(١).

فكانت آية التدوين هي كتابة القرآن وتفسيره وتأويله معه، ولذا قام الخليفة الثاني بنزع الأحاديث التفسيرية عن ما دون من القرآن حتى اشتهر عنه ما رواه قرظه بن كعب قال: خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار فتوضأ، ثم قال أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم أصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا، قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تبدؤوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وامضوا وأنا شريككم، فلما قدم قرظه قالوا: حدثنا قال: نهانا ابن الخطاب، فلربما كانت هذه الزيادات هي من قبيل التفسير والتأويل فصارت قراءة لبعض القراء.

ومن الملاحظات التي لوحظت خلال البحث في موضوع القراءات أن تفسير مجمع البيان والذي نقل روايات مرسلة لقراءة أهل البيت عليهم السلام حيث انه قد نقلها من كتاب القراءات لأبي عبد الله أحمد بن محمد السيارى، كما قد نقل منه ايضا صاحب تفسير القمي والعياشي، مع اغفال السند، وذكر الإمام المنقول عنه القراءة فقط مما أكد لنا أن القراءة نُقلت من هذا الكتاب بدلالة تطابق أسماء الأئمة عليهم السلام.

وإليك نموذج من ذلك في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ الصافات (١٢) القراءة: قرأ أهل الكوفة، غير عاصم: (بل عجبت) بضم التاء . والباقون بفتحها . الحجة في القراءة: قال أبو علي: من قرأ (بل عجبت) بالفتح، فالمعنى بل عجبت من إنكارهم البعث، وهم يسخرون، أو عجبت من نزول الوحي عليك، وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي عليه السلام، وابن عباس .

وروي عن شريح من إنكار له، فإنه قال: إن الله لا يعجب، وقد احتج بعضهم للضم بقوله: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ الرعد (٥) وليس في هذا دلالة على أن الله سبحانه أضاف العجب إلى نفسه، ولكن المعنى: وإن تعجب فعجب قولهم عندكم. والمعنى في الضم أن إنكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على الابتداء والإنشاء عجيب . ويبين ذلك عند من استدل عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله .

كما أن قوله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ مريم (٣٨) معناه: إن هؤلاء ممن تقولون أنتم فيه هذا النحو . وكذلك قوله ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ البقرة (١٧٥) عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام . وعلى هذا النحو قوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ﴾ المطففين (١) و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ المرسلات (١٥) وقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يُحْشَى﴾ طه (٤٤) . ولا يجوز أن يكون العجب في وصف القديم سبحانه، كما يكون في وصف الإنسان، لان العجب فينا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله، ولم نعرف سببه، وهذا منتف عن القديم سبحانه^(١) .

وفي التفسير الأمثل: في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا

أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿الرعد(٥)﴾ إذا أردت أن تتعجب من قولهم هذا فتعجب لقولهم في المعاد. هذا التعجب من المعاد كان موجودا عند جميع الأقسام الجاهلة، فهم يظنون أن الحياة بعد الموت أمر محال^(١).

وفي التفسير الكاشف: في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿الرعد(٥)﴾ والمعنى: ان تعجب من عبادة المشركين للأصنام، وانكارهم نبوتك فإن تكذيبهم بالبعث أعجب بالنسبة لك وأغرب، ذلك لأنهم يعترفون بأنه تعالى خلق الكون وأوجده، ومن قدر على ذلك فبالأولى أن يقدر على إعادة الإنسان بعد موته^(٢).

(١) التفسير الأمثل ج٧، ص ٣٤١ .

(٢) التفسير الكاشف ج٤، ص ٣٧٨ .

المصادر

القرآن الكريم.

- ١- تفسير الميزان في تفسير القرآن، تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مكتبة جماعة المدرسين، قم المقدسة، سنة الطبع ١٩٨٦.
- ٢- تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي من أعلام القرن السادس عشر، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى سنة الطبع ١٩٩٥م ١٤١٥هـ.
- ٣- التفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تأليف العلامة الشيخ آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م ١٤٢٨هـ، تحقيق هيئة من العلماء الأعلام.
- ٤- التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية، طبع دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت- لبنان، آذار ١٩٨١م.
- ٥- تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة، العروسي الحويزي، ت ١١١٢هـ، الناشر: اسماعيليان، ايران- قم، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.
- ٦- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار: محمد باقر المجلسي،

ت ١١١٠هـ، الناشر: دار احياء التراث العربي، لبنان-بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٧- تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: الشيخ الـ حر العاملي، محمد بن حسن، ت ١١٠٤هـ، الناشر: مؤسسة آل البيت، لبنان: بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ.

٨- نهج البلاغة، الشريف الرضي، محمد بن حسين، ت ٤٠٦هـ، تحقيق صبحي الصالح، الناشر: دار الهجرة، ايران-قم، الطبعة الاولى ١٤١٤هـ.

٩- الكافي، محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، ت ٣٢٩هـ الناشر: دار الحديث، ايران طهران، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٠- السراج المنير، في بيان نكات التفسير الشيخ حبيب الكاظمي.

١١- تلخيص البيان عن مجازات القرآن، ص ٤١٢- ٤١٦: الشريف الرضي ١٤١٩هـ جرية .

١٢- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ج ٢.

١٣- المفيد في أحكام التلاوة والتجويد، للشيخ رافع العامري، المختصر المفيد لأحكام التجويد الشيخ علي عبود الطائي، الكافي لأحكام التجويد.

١٤- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٢٧٩.

١٥- منهاج الصالحين، السيد الخوئي قدس سره / كتاب العبادات / باب

القراءة في الصلاة، السيد الحكيم قدس سره / كتاب العبادات / باب القراءة

في الصلاة، السيد السيستاني دام ظلّه / كتاب العبادات / باب القراءة في الصلاة،

١٦- سلسلة محاضرات فقهية للسيد صباح شبر الحلقة ٣٤ و ٣٥ و ٣٦

المتعلقة بالقراءة في الصلاة.

١٧- التغني بالقرآن، المؤلف لبيب سعيد. الهيئة العامة للتأليف والنشر

١٩٧٠م .

١٨- البيان في تفسير القرآن، السيد ابو القاسم الخوئي رحمته الله.

المحتويات

المقدمة.....	٥
الفصل الأول / أحكام القراءة	٩
المطلب الأول: الآيات القرآنية الدالة على تسهيل قراءة	١٠
المطلب الثاني: واجبات الناس اتجاه القرآن.....	١٤
المطلب الثالث: الطرق المعتمدة في قراءة القرآن.....	١٧
معنى حق التلاوة:.....	٢٠
الفصل الثاني / أحكام القراءة الشرعية والفنية للقرآن الكريم.....	٢٥
المطلب الأول: أحكام القراءة الفنية للقرآن الكريم.....	٢٦
مستويات القراءة الفنية:.....	٢٨
المطلب الثاني: أحكام القراءة الشرعية للقرآن الكريم.....	٣٠
المقدار الواجب من أحكام التجويد في القراءة الشرعية.....	٣٠
حكم المد المتصل والمنفصل والمثقل في قراءة الصلاة.....	٣٣
المطلب الثالث: المناقشة الفقهية لقواعد التجويد.....	٣٦
ثانياً: المقارنة بين قواعد التلاوة الشرعية والفنية.....	٤٢

- الفصل الثالث / شبهة التغني بالقرآن والرد عليها..... ٥٣
- المطلب الأول: شبهة التغني بالقرآن في مدرسة الصحابة والتابعين..... ٥٤
- التغني بالقرآن في السُّنة: ٥٩
- التغني بالقرآن عند الصحابة والتابعين وتابعيهم ٦٥
- التغني بالقرآن في الفقه والإجماع عند الصحابة والتابعين..... ٦٧
- منكري الغناء والتطريب من الصحابة والتابعين..... ٦٩
- أسلوب التغني الذي ينكره المسلمون..... ٧٤
- غنائيات القراء:..... ٧٥
- المطلب الثاني: الرد على شبهة التغني بالقرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام..... ٨٣
- المقامات القرآنية وحدود مشروعيتها في الروايات..... ٨٣
- المطلب الثالث: في حرمة الغناء والتغني في الشريعة الإسلامية..... ٩٤
- الأحاديث التي تدم التطريب والترجيع في قراءة القرآن..... ٩٥
- شبهة الثناء على القراء:..... ١٠١
- آيات في تعظيم شأن القرآن..... ١٠٣
- الفصل الرابع / نظرة في القراءات ومعنى قراءة أهل البيت عليهم السلام القرآنية... ١٠٥
- المطلب الأول: وحدة القرآن وتعدد القراءات..... ١٠٦
- المطلب الثاني: الروايات الواردة في التحريف وتوجيهها..... ١١٠
- المطلب الثالث: المنهج النبوي في تدوين وتدريس القرآن..... ١١٩